دراسة تحليلية

لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

(مريم ١٦-٣٣)

إعداد

زينب الأحمدي عبد الفتاح خليل

مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، وارزقني اللهم ثمرته في الدنيا والآخرة.

وبعـــد ،

فأثناء تدريسي لطالبات قسم التفسير الفرقة الثالثة كانت الآيات ١٦-٣٣ من سورة مريم أحد المقررات الدراسية وكانت تتحدث عن قضية خلق المسيح، وتبين أن خلقه على الصورة التي حدثت كانت السبب في قول النصارى بألوهيته واختلافهم في الألوهية إلى فرق عدة.

استوقفتني هذه الدراسة كقضية استبعدها العقل البشري في وقت، وبني على استبعادها أكبر خطأ وقع فيه النصارى حتى الآن.

و يا ليته كان خطأ هينا، لكنه خطأ يضرب العقيدة في مقتل، يكتسحها كسحا، لكن إذا كان نصارى الأمس عاشوا وماتوا على هذا الخطأ، أما آن لأحفادهم، وقد زادت المعارف، وارتقت الأفهام، وتطورت الأدوات. أن يفكروا بطريقة مختلفة، ويتحدثوا بعقل القرن الذي هم فيه.

القضية بالإضافة إلى كونها امتحانا لعمق الإيمان، لم تعد أمرا غريبا ولا مستنكرا، إذ ملخصها أنه ابن امرأة لم تجئ به من رجل، وتلك هي الصورة التي يقربها العلم إلى الأفهام يوما بعد يوم، بما يقدمه من أمثلة مشابهة في العالم الأخرى ومن ثم كان لزاما أن يهلك النوع الأول من التفكير، ويظهر أثر الحسن للعلم على الجانب الاعتقادي والعقلي مثلما ظهر على الجانب المادي، وإلا لو رجع المسيح لاستبقت ملايين الأيدي لصلبه من جديد.

I CAMERA
Shot on realme

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه هي فكرة البحث أن ننظر إلى قضية التكوين والنشأة بنظرة علمية منطقية.

هذا وقد تضمن البحث تفسير ثماني عشرة آية قسمتها إلى ستة أجزاء، كل جزء تحت عنوان ينبئ عن المعنى الإجمالي.

ثم يعقب ذلك المعنى التحليلي، يدخل في ذلك تصريف الكلمة والبلاغة، والقراءات إن وجدت، ثم أختمها بالإعراب.

أخيرا أسأل الله أن أكون قد وفقت في صياغة البحث على الوجه الذي يرضيه تعالى والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

وقبل أن نبدأ في تفسير الآيات، يجدر بنا تتميما للفائدة أن نبين أمورا هي:

١- اسم السورة ووجه تسميتها بسورة مريم.

٢- وقت نزول السورة.

٣- عدد الآيات.

٤- فضل السورة.

٥- مناسبة السورة الكريمة لما قبلها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا: اسم السورة ووجه تسميتها.

لهذه السورة اسمان "سورة كهيعص" لافتتاحها بها، وسورة "مريم" لاشتمالها على قصتها مفصلة.(١) ورويت هذه التسمية عن النبي ﷺ في حديث رواه الطبراني عن أبي بكر عبد الله بن أبي مريم الغساني عن أبيه عن جده أبي مريم قال: أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إنه ولدت لي الليلة جارية فقال: والليلة أنزلت على سورة مريم، فسميتها مريم". (٢)

وجه التسمية:

على مر التاريخ حازت أكثر من امرأة الفضل وبلغت درجة الكمال فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال ﷺ "حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون."(٣) وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال، قال رسول الله ﷺ: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"(٤)

لكن لم تحمل سورة من السور الكريمة اسم سيدة من سيدات التاريخ غير اسم مريم، ولم تفصح آية من آيات القرآن باسم امرأة غيرها حتى لقد

---

(١) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٧/٧ ، وروح المعاني للألوسي ٨٢/٩ وأسماء السور القرآنية دلالات وإشارات لسيف الجابري ص ١٤٣

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٣٢/٢٢ حديث رقم ٨٣٤ ،قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه سليمان بن سلمة الجنائزي وهو متروك ٥٥/٨، حديث رقم ١٢٨٨٩

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب فضل خديجة رضي الله عنها ٧٠٣/٥ حديث رقم ٣٨٧٨، وقال: حديث صحيح، وأحمد في المسند ٣٨٣/١٩ حديث رقم ١٢٣٩١

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها ٢٩/٥ حديث رقم ٣٧٦٩، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ١٨٨٦/٤، حديث رقم ٧٠

(تكرر فيه اسمها أربعا وثلاثين مرة)[1]

على حين لم يخصص الإنجيل سورة باسمها، ولم تذكر فيه إلا مرات قليلة.

كذلك لم يعن كتاب من الكتب السماوية -التوراة والإنجيل- بالدفاع عنها وإظهار براءتها كما عنى القرآن الكريم.

وفي الوقت ذاته ورد ذكر عيسى عليه السلام في القرآن الكريم (خمسا وعشرين مرة)[2] وإحدى عشرة مرة باسم المسيح[3] وهو عدد كبير إذا ما عرفنا أن النبي محمداً ﷺ وهو خاتم الأنبياء لم يذكر في كتابه وهو القرآن سوى (أربع مرات)[4]

هذا كله لأنه تتعلق بعيسى وأمه قضية من أهم القضايا التي نعيشها، والتي ستستمر ما بقيت الحياة، وهي قضية التوحيد، إذ ميلاد المسيح على تلك الصورة التي أرادها الله أوقعت كثيرا من الناس في الضلال، حتى انقسم المسيحيون أنفسهم إلى فرق وجماعات، وقليل منهم من أصاب الحق، وآمنوا بأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم، وأن انتماءه اولا وأخيرا إلى أمه، لا إلى الله ولا إلى رجل منهم.

وللعلماء أقوال حسنة في وجه التسمية، ولعل في ذكرها ما يزيد الأمر إيضاحا، ومنها.

(قال بعض العلماء في حكمة ذكر مريم في القرآن باسمها دون غيرها من النساء:

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد القادر ص ٦٦٥

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٩٤، ٤٩٥

(٣) السابق ص ٦٦٦

(٤) السابق ص ٢١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ، ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكنون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحو ذلك، فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها، فلما قالت النصارى في حق مريم ما قالت وفي ابنها، صرح الله تعالى باسمها ولم يكنّ عنها تأكيدا للأمة والعبودية التي هي صفة لها وإجراءً للكلام على عادة العرب في ذكر إمائها، ومع هذا فإن عيسى عليه السلام لا أب له واعتقاد هذا واجب، فإذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقادها من نفي الأب عنه وتنـــزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله تعالى(١)

وقال آخرون:

سميت مريم في القرآن باسمها لأنها أقامت نفسها في الطاعة كالرجل الكامل فذكرت باسمها كما يذكر الرجال من موسى وعيسى ونحوهما عليهم السلام، وخوطبت كما خوطب الأنبياء كما قال تعالى: "يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ"(٢)

وقال عز وجل: "وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ"(٣) والقانت هو المطيع الخاضع المتذلل لربه، القائم بعباداته على ما يرضى الله عز وجل. وصفها الله بأنها كانت من القانتين، ولم يقل من القانتات لأنها بلغت في قنوتها مبلغ الكاملين من الرجال، ولم يشاركها في هذه المرتبة عابدة من عابدات النساء في بني إسرائيل، لكن كان يوجد في بني إسرائيل رجال قانتون من درجة رفيعة في مرتبة عالية، فكانت جديرة بأن تكون

---

(١) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي البروسوي ٢/٤٠٩

(٢) آل عمران آية ٤٣

(٣) التحريم آية ١٢

معهم في المرتبة والدرجة طاعة وخضوعا لله وعملا بمراضيه.(١)

جامعة الأزهر
مكتبة
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية بنات

ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله:

وقد أفرد القرآن سورة كاملة باسم مريم وخصها شخصيا باسمها واسم أبيها، لأنها فذة ومفردة بين نساء العالم بشيء لا يحدث ولن يحدث إلا لها، فهذا أمر شخصي لن يتكرر في واحدة أخرى من بنات حواء، أما إذا كان الأمر عاما يصح أن يتكرر فتأتي القصة دون تشخيص كما في حديث القرآن عن زوجة نوح وزوجة لوط كمثال للكفر، وزوجة فرعون كمثال للإيمان، فالمراد هنا ليس الأشخاص بل المراد بيان حرية العقيدة، وأن المرأة لها في الإسلام حرية عقدية مستقلة ذاتية وأنها غير تابعة في عقيدتها لأحد سواء أكانت زوجة نبي أم زوجة إمام من أئمة الكفر.(٢)

نعم هو أمر لم يتكرر، كما لم يتكرر بعد آدم خلق الإنسان من طين لكن لم تسم سورة باسم آدم أو حتى باسم حواء، وهما معجـزة، وخلقهمـا يعترضه أسئلة كثيرة ربما لأن آدم وحواء هما الإنسان الأول، أما مريم فقد توالت الأجيال تلو الأجيال، واستقرت المعارف والأديان والعقائد بأن طريق مجيء الولد هو الرجل.

يقول الدكتور عبد الله شحاته رحمه الله:

والبشرية لم تشهد خلق نفسها، وهو الحادث العجيب في تاريخها، لم تشهد خلق الإنسان الأول من غير أب ولا أم، وقد مضت القرون بعد ذلك الحادث، فشاءت الحكمة الإلهية أن تبرز العجيبة الثانية في مولد عيسى من غير أب على غير السنة التي جرت منذ وجد الإنسان على هذه الأرض، ليشهدها البشر ثم تظل في سجل الحياة الإنسانية بارزة فذة تتلفت

---

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر، لعبدالرحمن حبنكة ٤٤١/٧

(٢) تفسير الشعراوي ٩٠٥٠/١٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليها الأجيال إن عز عليها أن تتلفت إلى العجيبة الأولى التي لم يشهدها إنسان.

فإذا نحن تجاوزنا حادث خلق الإنسان أصلا وإنشاءه على هذه الصورة، فإن حادث ولادة عيسى ابن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كله، ويكون حادثا فذا لا نظير له من قبله ولا من بعده.(١)

ومن ثم استحق أن يسطر اسم مريم صريحا، ويكون علما على إحدى لآلئ القرآن، وينوه إليها من قبل بسورة من السبع الطوال، سورة آل عمران السورة الثانية الكبرى في القرآن الكريم.

ثانياً:- وقت نزول السورة:

سورة مريم من السور المكية، إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمد نيتان(٢)وكان نزولها مبكرا في العهد المكي كما يتضح من حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة حين قدم وفد قريش إلى النجاشي ملك الحبشة في طلب من هاجر إليها، حينئذ دار حوار طويل بين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الذي تحدث باسم المهاجرين وبين النجاشي والقساوسة وبين وفد قريش عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ، وكان فيما دار في هذا الحوار مما يتعلق بتوقيت نزول السورة ما رواه الإمام أحمد وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "..... فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه على، فقرأ عليه صدرا من "كهيعص" قالت: فبكي والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي

---

(١) تفسير القرآن الكريم، د/ عبدالله شحاته، ٣٠٧٢/٦،

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي ٥٠٦/٦

إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فو الله لا أسلمهم إليكم أبدا."(١)

ومما يدل على مكية السورة أيضاً، ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ قال: "بني إسرائيل، والكهف ومريم وطه والأنبياء هُنَّ من العِتاقِ الأُوَلِ، وهُنَّ مِنْ تِلاَدِي"(٢)

والعتاق: جمع عتيق، والعرب تجعل كل شيء بلغ الغاية في الجودة عتيقا. والتلاد: ما كان قديما من المال، يريد أنها من أوائل السور المنزلة في أول الإسلام لأنها مكية، وأنها من أول ما قرأه وحفظه من القرآن.(٣)

ثالثاً: عدد آيات السورة الكريمة.

عدد آياتها تسع وتسعون آية، وقيل: ثمان وتسعون آية(٤)، وسبب اختلاف السلف في عدد الآيات أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة(٥).

وكلماتها تسع مئة واثنتان وستون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وحرفان(٦)

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٣/٣، ٢٦٤ ، حديث رقم ١٧٤٠، وابن راهويه ٧٢،٧١/٤ حديث رقم ١٨٣٥، وابن خزيمة في كتاب الزكاة، باب ذكر البيان بأن فرضي الزكاة كان قبل الهجرة إلى أرض الحبشة، إذ النبي صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة قبل هجرته إلى المدينة ١٦/٤، حديث رقم ٢٢٦٠

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى "فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى" ٩٦/٦ حديث رقم ٤٧٣٩ ، والبيهقي في الشعب، باب تعظيم القرآن، فصل في فضائل السور والآيات ٨٨/٤ حديث رقم ٢٢٢٤

(٣) شعب الإيمان للبيقهي ٨٨/٤

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٤٢/٢

(٥) المرجع السابق، ٤٣٣/٢ ، ٤٣٤

(٦) حدائق الروح والريحان، للشيخ محمد الأمين العلوي ٨٠/١٧

رابعاً: فضل السورة.

لم أقف على نص خاص بها، وإنما هي من عموم القرآن الذي لاتخلو آية منه ولا كلمة من فضل ورحمة، ومن هداية وشفاء، (وهي من السور المثاني، والمثاني: كل سورة دون المئين، والمئون كل سورة بلغت مائة فصاعدا.)(١)

وقد ورد في شأن ذلك ما رواه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ: "أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل"(٢)

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

والمناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة يقال : فلاناً يناسب فلانا ؛ يعني : يقاربه ويشاكله(٣) والمقصود بها عند المفسرين : وجه الارتباط بين الجملة القرآنية ومثيلتها في الآية الواحدة، أو بين الآية ومثيلتها في الصورة الواحدة، أو بين السورة والسورة في القرآن الكريم، أو بين فاتحة السورة وخاتمتها أو خاتمة التي قبلها ونحو ذلك من مجالات التناسب في هذا القرآن العظيم(٤) .

والمناسبة بين آيات القرآن الكريم وسوره واضحة جلية، فهو معجز

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢/١٣؛

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٨/١٨٨؛ حديث رقم ١٦٩٨٢، والطيالسي ٢/٣٥١ حديث رقم ١١٠٥، والطحاوي في مشكل الآثار، باب بيان مشكل ما اختلف فيه عثمان بن عفان، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الأنفال وبراءة وهل هما سورتان أو سورة واحدة ؟ ٣/٤٠٩ حديث رقم ١٣٧٩، والبيهقي في السنن الصغير، كتاب فضائل القرآن، باب تخصيص السبع الطوال بالذكر ١/٣٤١، حديث رقم ٩٦٢

(٣) لسان العرب ١٤ – ١١٨– ١١٩

(٤) مفاتيح التفسير لأحمد سعد الخطيب ، ٢/٨٦٧.

بنظمه وترتيب آياته وسوره، وعلى ذلك فقد جاءت "سورة مريم" متناسقة مع سابقتها "سورة الكهف" من وجوه هي:

١- أنه تعالى ضمن السورة قبلها قصصا عجبا كقصة أهل الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر، وولادة عيسى من غير أب، فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك.(١)

٢- اختتمت الكهف بتأكيد بشرية الرسول ﷺ ونبوته، وجاءت سورة مريم مؤكدة ومقررة بشرية المسيح عليه السلام ونبوته قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً"(٢) وقال تعالى: "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً"(٣)

٣- ختمت سورة مريم بما بدأت به سورة الكهف من بيان مقاصد القرآن، قال تعالى في مطلع سورة الكهف "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً (١) قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً"(٤)

وقال تعالى في ختام سورة مريم "فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً"(٥)

---

١) البحر المحيط ٢٣٧/٧، وروح المعاني ١١٠/٩ ، وابن كثير ١١٤/٣.

٢) الكهف آية ١١٠

٣) مريم آية ٣٠،٣١

٤) الكهف آية ١،٢

٥) مريم آية ٩٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- لما أنذر الله تعالى في مقدمة الكهف من ادعى لله ولدا، جاءت سورة مريم بتقرير ما جاء في سورة الكهف من نفى الولد وإنذار من زعم ذلك، فوردت قصة حمل مريم وولادتها عيسى عليه السلام وجاءت الآيات بنفي الولد.

٥- ورد في سورة الكهف حديث مستفيض عن رحمة الله بعباده المؤمنين وباليتامى والمساكين والمستضعفين، وجاءت سورة مريم تكشف لنا عن جوانب أخرى لهذه الرحمة التي وسعت كل شي.(١)

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لنخبه من علماء التفسير إشراف د/ مصطفى مسلم، ٤/٤٠٩-٤١١

التفسير التحليلي للآيات

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ مريم ١٦ - ٣٣

المناسبة: ومناسبة هذه الآيات لما قبلها:

أنه تعالى لما ذكر قصة زكريا وطلبه الولد، وإجابة الله إياه، فوُلد له من شيخ فانٍ وعجوزٍ له عاقر، وكان ذلك مما يتعجب منه، أردفه بما هو أعظم في الغرابة والعجب، وهو وجود ولد من غير ذكر، فدل ذلك على عظم قدرة الله تعالى وحكمته.(١)

---

(١) البحر المحيط ٧/٢٤٧

مريم في خلوتها.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِياً﴾

لم تتصدر قصة مريم بداية السورة التي تحمل اسمها فكان ابتداء ذكرها هذه الآيات، اذ سبقها قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ذلك لأنهما كانا كالمقدمة والتمهيد لها.

(إذ خلق الولد من شيخين فانيين أقرب إلى مناهج العادات من خلق الولد لا من الأب البته، وأحسن طرق التعليم والتفهيم الترقي من الأقرب فالأقرب، إلى الأصعب فالأصعب.)(١)

ومن ثم لا تنزعج مريم من حملها، ولا يستطيع بنو إسرائيل أن ينكروا ولدها، فقد حملت من قبل زوجة زكريا وهي عاقر.

قوله: "وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ....." خطاب لرسولنا ﷺ أي واتل أيها الرسول الكريم في كتاب الله الذي أنزله إليك بالحق، قصة مريم بنت عمران ومريم (بالعبرية صفة بمعنى الخادم، ثم سمى به كثير من النساء فلذلك لم ينصرف.)(٢)

وشذ بعضهم فقال: عربي معناه مَرَتْ ورامت، أي حلبت وطلبت، أي استخرجت طاعة الله وطلبت مرضاة الله، وقيل: إشارة إلى أنها مرتْ على يمّ الطاعة مرور السفينة والحوت باليم.(٣)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي ٣١/١٣

(٢) ينظر السابق ٢٦٣/٢، وتفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، لمحمد علي طه الدرة ٣٦٩/٨

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي ١٠٩/٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل: هي التي تكره مخالطة الرجال، وفي القاموس المحيط: هي التي تحب حديث الرجال ولا تفجر.(١) كـ "الزير" من الرجال، وهو الذي يكثر مخالطتهن.(٢)

وقيل: هو اسم آرامي أصله ماري + أما، فالمقطع الأول "ماري" في الآرامية معناه: الرب ومختصره "مار" بمعنى سيد القوم، أو السيد، ومنها جاء مار جرجس، ومار مرقس، أي السيد جرجس، أو السيد مرقص.

والمقطع الثاني: "أما" هو أمة في العربية، وعليه يكون اسم مريم/ ماري + أما، أمة الرب، بعد أن قدم اسم المضاف إليه على المضاف.(٣) وقيل: إن مريم معناه العابدة(٤)

والملاحظ من هذه المعاني أن جميعها وصف لنشأتها عليها السلام وللإيضاح نذكر نبذة مختصرة عن ولادتها ونشأتها.

فقد نذرت أمها أثناء حملها أن تهب ما في بطنها لخدمة بيت المقدس "إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ"(٥)

وحرر الولد: أي أفرده لطاعة الله وخدمة المسجد(٦) ولم يكن يحرر في ذلك الزمان إلا الغلمان.(٧)

فلما وضعت وجاء المولود أنثى "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ

---

(١) القاموس المحيط، للفيروز أبادي /٢٣٤، ٢٣٥

(٢) ينظر اللباب في علوم الكتاب ٢٦٣/٢ وتفسير القرآن وإعرابه وبيانه ٣٦٩/٨

(٣) قصص الأنبياء والتاريخ، د/رشدي البدراوي ١٧/٦

(٤) حدائق الروح والريحان ١٠٠/١٧

(٥) آل عمران آية ٣٥

(٦) المعجم الوسيط ١٦٥/١

(٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٥٥٧/١

أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى"[١] ليس بالمراد بالخبر هنا أن تعلم ربها بما وضعت، ولكن يراد به هنا التحسر والحزن إذ ظنت أن نذرها لا يكون محل قبول باعتبار أن الولد جاء أنثى ولم يأت ذكرا قادرا على أن يقوم بالوظيفة الدينية.[٢]

فالذكر هو الأصلح للقيام بهذه المهمة من حيث القدرة على الخدمة وحرية الدخول والخروج، كذلك في الآية إشارة إلى الطبع البشري، فالذكر تهفو إليه النفس رجلا كان أم امرأة بخلاف الأنثى. "وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ"[٣] أي أمة الله وخادمته، "وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"[٤] وهذا أفضل ما فعلت أمها قال ﷺ "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها، ثم قرأ أبو هريرة "وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"[٥].

"فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا"[٦] أي رضي بمريم في النذر مكان الذكر ولم يقبل قبلها أنثى لخدمة الهيكل، وأنشأها على الصلاح والتقوى، والعفة والطهر.

ولما اختلف القائمون على خدمة البيت، كل يريد أن تكون في رعايته، إذ هي بنت كبيرهم، وأحد علمائهم، وصاحب صلاتهم الذي كان

---

(١) آل عمران آية ٣٦

(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر ٤٢١/٧

(٣) آل عمران آية ٣٦

(٤) آل عمران آية ٣٦

(٥) البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا" ١٦٤/٤، حديث رقم ٣٤٣١، واللفظ له، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام ١٨٣٨/٤ حديث رقم ١٤٦، وحديث رقم ١٤٧

(٦) آل عمران آية ٣٧

على ما يظهر قد توفاه الله، فقرروا أن يقترعوا ليتحدد من يكفلها "وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ"(١).

يلقى كل واحد منهم قلمه الذي يكتب به التوراة في النهر فأيهم يثبت في جريه الماء فهو كافلها، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا، فإنه ثبت فكفلها وهو زوج أختها(٢).

لكون يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة كما جاء في حديث المعراج من قوله ﷺ"فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا"(٣).

وتفانت مريم في عبادة الله وأجرى الله على يديها الكثير من المعجزات حتى إن زكريا عليه السلام كلما كان يدخل عليها المحراب يجد عندها رزقا لا وجود لمثله بين الناس في ذلك الوقت من السنة فيسألها "أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"(٤)

وكان ذلك تمهيدا لأمر عظيم ينتظرها في المستقبل، أمر تتميز به على جميع النساء في جميع العصور، وهو حملها بعيسى عليه السلام وولادتها له بغير أب، وهو الحمل الذي لن يتكرر إلى قيام الساعة، والذي قدر الله تعالى أن يوضع في ذاكرة كل مستمع أوتال للقرآن لما له من أثر في الدين، ومن ثم خاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ فقال: "وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ" (أي عرفهم قصتها ليعرفوا كمال قدرتنا.)(٥) ولا يمنع توجه الخطاب

---

(١) آل عمران آية ٤٤

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٣٦٣/١ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم ٥٥٩/١

(٣) مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات ١٤٥/١، ١٤٦ حديث رقم ٢٥٩ مطولا

(٤) آل عمران آية ٣٧

(٥) تفسير القرطبي ٥٢٢/٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للنبي ﷺ أن يكون المخاطب به كذلك عموم الناس من آمن بالنبي ومن لم يؤمن به إلى يوم القيامة، إذ قصتها جزء من القرآن المنزل للبشرية كلها.

"إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا....."

"النبذ" هو إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به، والانتباذ: الاعتزال والانفراد، انتبذ فلان أي ذهب في ناحية، وانتبذ عن قومه: تنحى عنهم.(١) وانتبذت مكانا: اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم.(٢) واختلف لما انتبذت مريم؟

قال الخازن:- كان ذلك في يوم شات شديد البرد، فجلست في مشرق بيت المقدس تقلى رأسها.

وقيل: لتغتسل من الحيض.

وقيل: لتعبد الله(٣). وهذا أحق بالاعتبار وأولى.

قال تعالى:"وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ"(٤)

وحدد تعالى ما انتبذت إليه فقال:" مَكَاناً شَرْقِياً....."

شرقي بيت المقدس أو شرقي دارها(٥)، والشرق بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس عند الطلوع.(٦)

قال الإمام الطبري: أي أنها صارت بمكان يلي مشرق الشمس، لأن

---

(١) لسان العرب ١٧/١٤، والمعجم الوسيط ٨٩٧/٢

(٢) المصباح المنير، للفيومي المقدي ص ٨١٠، المطبعة الأميرية

(٣) ينظر تفسير الخازن ٢٤١/٣ ، وتفسير الكشاف ٨/٣

(٤) آل عمران آية ٤٢،٤٣

(٥) اللباب في علوم الكتاب ٣٢/١٣

(٦) تفسير القرطبي ٥٢٣/٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما يلي المشرق عندهم كان خيرا مما يلي المغرب، وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب.(١)

قال القرطبي: إنما خص المكان بالشرق لأنهم كانوا يعظمون جهة المشرق، لأنها مطلع الأنوار، ولهذا اتخذت النصارى المشرق قبلة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأعلم الناس لم اتخذ النصارى المشرق قبلة لقوله عز وجل "إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً" فاتخذوا ميلاد عيسى عليه السلام قبلة.(٢)

كما اتخذ اليهود المغرب قبلة لأن الميقات وإيتاء التوراة واقعان في جانب الجبل الغربي، كما قال تعالى: " وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ "(٣)

وقد أفادت الآية بلوغ مريم مبلغا عظيما من الرقي والهمة لم ترض معه بالقليل من العبادة، فالمؤمن القوى تجده عالي الهمة، لا يرضى من العبادة إلا أحسنها وأخلصها وأصدقها، وهذا ما تحققه العزلة، فاعتزلت في مكان شرقي بيتها.

وقد دلت العبارة على أمور:-

١- أن اعتزال مريم كان بصورة متواضعة خالية من كل ما يجلب الانتباه، وهذا ما يفيده لفظ "انتبذت" فالانتباذ: (هو إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به.)(٤)

أي أن خروجها لم يسترع انتباه أحد، وهذا هو حال الصادقين.

---

(١) تفسير الطبري ١٥/٤٨٤، ٤٨٥

(٢) تفسير القرطبي ٦/٥٢٣

(٣) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢/٤٠٩، والآية ٤٤ من سورة القصص

(٤) لسان العرب ١٤/١٧.

I CAMERA

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- أن هذا الاعتزال لم يكن خارجا عن حدود مساكن أهلها وإنما كان ضمن حدودهم، وهذا ما يتفق وطبيعة المرأة فلا مخالفة في خلوتها للأعراف والعادات.

٣- حسن اختيار المكان، فالشرق هو الأنسب من جهة أشعة الشمس ونورها، أو لعله كان أكثر هدوءا وسكينة لبعده عن التجمعات التي يصحبها مظاهر الترف والضوضاء.

٤- ما امتازت به مريم من صلابة واستقامة، فالعزلة لا تصح إلا من ذي قوة لأنها في حقيقة الأمر، عدم الاستسلام لشهوات الواقع، والقدرة على تحمل أعباء وتبعات وثقل التكاليف.

وهذا قد يكون مبررا مع الشيبة، سن العقل والحكمة والردع والأناة والخبرة وتدارس العواقب.

أما في الشباب يكون الأمر صعبا، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((الشباب شعبة من الجنون))[1] لأن فيه شيئا من الطيش والاندفاع والنشاط والقوة واللهو والغرور والإقبال على الحياة.

يقول الشاعر:

هَبِ الشَّبِيبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا مَا بَالُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ[2]

لهذا يعذر الشباب فيما يأتيه من أخطاء ومخالفات، فإذا عرفنا أن عمر مريم في هذا الوقت يتأرجح ما بين (ثلاثة عشر إلى خمسة عشر

---

(١) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب ذكر من فتنه النساء عن طاعة الله تعالى وعظيم غلبة الشهوة ١٠٣/١ حديث رقم ١٩٨، والشهاب القضاعي في مسنده ١٠٠/١، حديث رقم ١١٦.

(٢) ينظر حياة الحيوان الكبرى، للدميري ١٧٣/١، ومجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ص ٢٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ربيعا)[1] أدركنا ما بها من قوة.

ولعل هذا من أسباب تفضيلها على نساء العالمين إذ أدركت الإيمان بكرا واستقامت في شبابه وصدق رسول الله ﷺ إذ قال في الحديث المشهور: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال: "..... وشاب نشأ في عبادة الله"[2] ولم يقل: وشيخ.... لأن هذا هو المتوقع والمنتظر ممن خبر الدنيا وامتحنته الأحداث.

يقوى ما نقوله:- أن مريم لم تكتف بخروجها من محيط الأهل والأصحاب إلى مكان في الدار مما يلي الشرق بل أحكمت خلوتها فأقامت حاجزا بينها وبينهم ليبعدها عنهم روحا وجسدا، فهي قريبة منهم لكنها تعيش وحدها، تزيد رصيدها من الذكر والطاعة.

"فَاتَّخَذَتْ....." أي: (جعلت بتكلف وإجراءات عمرانية.

"مِن دُونِهِمْ....." أي من أمام نظر أهلها أو من جهتهم حيث امتداد نظرهم.)[3]

"حِجَاباً....." ساترا يمنعهم من رؤيتها ويمنعها من رؤيتهم، فالحجاب اسم ما احتجب به، وكل ما حال بين شيئين فهو حجاب،[4] وكان من الجدران، وقيل: من ثياب، وقيل: حجابا من الشمس جعله الله ساترا، وقيل: أنها جلست وراء جبل.[5]

ولم تصرح الآية بالهدف من اتخاذ الحجاب، فهل من أجل أن تناجي

---

(١) ينظر البحر المحيط ٢٥٠/٧، والقرطبي ٥٢٤/٦.

(٢) البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين ١١١/٢، حديث رقم ١٤٢٣، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ٧١٥/٢ حديث رقم ٩١.

(٣) معارج التفكر ودقائق التدبر ٤٣٣/٧

(٤) المعجم الوجيز ص ١٣٥

(٥) ينظر النكت والعيون، للماوردي ٣٦٢/٣، البحر المحيط ٢٤٨/٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ربها بحرية أكبر أو أنها اتخذته لأمر يخصها كالاغتسال والامتشاط.

قال المفسرون :

اختلف في سبب احتجاب مريم عليها السلام، فقيل: تباعدت لتغتسل من الحيض محتجبة بشيء يسترها.

- عطشت فخرجت إلى المفازة لتستقي

- كانت في منزل زوج أختها زكريا وفيه محراب تسكنه على حده، وكان زكريا إذا خرج يغلق عليها، فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتقلى رأسها، فانفرج السقف لها فخرجت في المشرفة وراء الجبل.

- طلبت الخلوة للعبادة، وكل هذه الوجوه محتملة.(١) فالحجاب عفة وطهارة في حال تكشفها، وبعد عن الرياء وحرص على الإخلاص في حال عبادتها.(٢)

والكلمة "حِجَاباً" على أي صورة قلبتها تصدق معك، لكن التعبير بقوله "انتبذت" و "مَكَاناً شَرْقِياً" و "حِجَاباً" تشير إلى معنى واحد، وهو تعمد العزلة، أي أنها اختارت مفارقة الخلق، والاجتماع بالله تعالى، لا اجتنابا لفتنة، وإنما تقربا من الله، واستئناساً به، مخالفة بذلك الطبع البشري، فالإنسان مخلوق اجتماعي، يُشبع باجتماعه حاجته من الحب والتقدير والعطاء، أما المنعزل المتباعد عن الناس يفتقد هذه الأشياء وهي محدودة، ويأخذها بلا حدود من الله تعالى حيث تسمو الخلوة بالروح، وتروض النفس، وتصفي القلب، وتكون كالبوصلة فتوجه عواطفه وانتماءه إلى وجهة واحدة هي الله تعالى، فالعطاء من الله، والتقدير من الله، والرزق من الله، والنصر من الله وهذا ليس له حدود.

---

(١) ينظر اللباب في علوم الكتاب ٣٢/١٣، مفاتيح الغيب ١٩٧/١١

(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر ٣٣/٧؛

قال الإمام القاسمي: اتخذت حجابا لئلا تحجبها رؤية الخلق عن أنوار الحق.(١)

وكذلك قال عند تفسيره لقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ "(٢)

قال: أي أن الله اصطفاك بالتقريب منه والمحبة.(٣)

فالآية وإن لم تصرح بعلة اتخاذ الحجاب، إلا أن الرابط بين العبارات مفاده أن الاحتجاب كان للعبادة.

"فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا....." بعثنا لها وهي على هذه الحال من العبادة والاختلاء

"رُوحَنَا....." الأكثرون من المفسرين على أنه جبريل عليه السلام لقوله تعالى "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ"(٤) وقوله عز وجل "قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ"(٥)

وسمى روحا لأنه يحمل الوحي، وهو روح الحياة، وقيل: للطافته ، وقيل: سمى روحا على المجاز لمحبته وتقريبه كما تقول لحبيبك روحي.

- وقيل: المراد من الروح: عيسى عليه السلام جاء في صورة بشر فحملت به.(٦)

وهناك من قرأ "روحنَّا" بتشديد النون، وجعله اسم ملك من الملائكة

---

(١) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي ٩٣/٧ دار الحديث القاهرة ط ٢٠٠٣م

(٢) آل عمران آية ٤٢

(٣) تفسير القاسمي ٣٦٢/٢

(٤) الشعراء آية ١٩٣

(٥) النحل آية ١٠٢

(٦) ينظر البحر المحيط ٢٤٨/٧ ، اللباب في علوم الكتاب ٣٣/١٣

أي أن ما أرسل إليها كان ملكا آخر غير جبريل عليه السلام، وهناك قراءة أخرى، فقد قرأها أبو حيوة وسهل بفتح الراء "رَوحنا" أي ما فيه راحة للعباد كقوله تعالى: "فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ"(١) وهما قراءتان شاذتان.

لكن الجمهور على ضم الراء من "روحنا"، وهو ما يحيون به.(٢) وهي القراءة المتواترة المقبولة.

"فَتَمَثَّلَ لَهَا....." المِثْلُ: الشبه، يقال: مِثْلٌ و مَثَلٌ، وشِبْه وشَبَه(٣)، ومَثَلَ الشيءُ يَمْثُـل مُثُولا: قام منتصـبا ومَثُل بين يديه مُثُولا: أي انتصب قائما.(٤) والمعنى: ظهر لها جبريل متشبها بصورة.

"بَشَراً....." آدميا من جنسها وعلى شاكلتها.

قال ابن المنظور: البشر: الخلق، يقع على الذكر و الأنثى، والمفرد والمثنى والجمع، ومن المثنى قوله تعالى "أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا"(٥) والجمع أبشار.(٦)

فهو لفظ مرادف لإنسان وآدمي، وقد مثل لها بصورة إنسان (لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت منه، ولم تقدر على استماع كلامه.)(٧)

ولأنه جاء للنفخ المنتج للبشر، فتمثل بشرا، ولو جاء على صورة

---

(١) الواقعة آية ٨٩

(٢) ينظر الكشاف ٩/٣ ، البحر المحيط ٢٤٨/٧، واللباب ٣٢/١٣

(٣) المعجم الفريد ٢٧٧/٢

(٤) لسان العرب ٢٤/١٣

(٥) المؤمنون آية ٤٧

(٦) لسان العرب ٤١٣/١

(٧) تفسير الكشاف ٩/٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لملك لجاء عيسى على صورة الروحانيين.(١)

وإتيان جبريل في صورة إنسان يكلم البشر لم تكن الأولى، فقد أتى من قبل إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام، ولن تكون الأخيرة، وقصة الثلاثة "الأبرص والأقرع والأعمى" تفيد ذلك.(٢) وكذا قصة الذي زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا على مدرجته.(٣) وأخيرا وليس آخرا قصة القاتل المائة نفس.(٤)

قوله: "بَشَراً سَوِياً.....".

السوى: المستوى وهو في كلام العرب التام الذي قد بلغ الغاية في شبابه، وتمام خلقه و عقله،(٥) فهو تام الخلق، كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً،(٦) إذ انسجمت أعضاؤه وتناسقت على أجمل ما يكون البشر، فلا يعيبه كبر جبهته، أو أنفه أو فمه، كما نرى في بعض الناس، وهذا كله لإيناس مريم وطمأنينتها، وأيضاً ليثبت أنها العذراء العفيفة، لأنها لما رأت هذا الفتى الوسيم القسيم ما أبدت له إعجابا، ولا تلطفت إليه في الحديث، ولا نطقت بكلمة واحدة يفهم منها ميل إليه،(٧) بل

"قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِياً.....".

---

(١) حدائق الروح والريحان ١٠٢/١٧

(٢) البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل ١٧٢،١٧١/٤ - حديث رقم ٣٤٦٤، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ٢٢٧٥/٤- ٢٢٧٦حديث رقم ١٠

(٣) مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله تعالى ١٩٨٨/٤ حديث رقم ٣٨ والبخاري في الأدب المفرد، باب فضل الزيارة ١٢٨/١ حديث رقم ٣٥٠

(٤) البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ١٧٤/٤ حديث رقم ٣٤٧٠، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٢١١٨/٤ حديث رقم ٤٦

(٥) المعجم الفريد ٥٢٢/١

(٦) حدائق الروح والريحان ١٠١/١٧

(٧) تفسير الشعراوي ٩٠٥٤/١٥،٩٠٥٥

"قَالَتْ....." مريم.

"إِنِّي أَعُوذُ....." أستجير وألتجئ وأتحصن وأمتنع "بِـ

" عصمة.

"الرَّحْمَنِ....." منك أن تنال مني ما حرم الله عليك،

وقالت بذلك لأنها ظنت به السوء، حيث تبدي لها في صورة بشر جميل الصورة، وهي في مكان منفرد، بينها وبين قومها حجاب فخافت وظنت أنه يريدها على نفسه.(١)

وفي استعاذتها متوسلة باسم الرحمن توجه إليه سبحانه أن يرحم ضعفها ويصرف عنها السوء، فقد شملها تعالى برحمته في سائر أحوالها، وهي الآن أحوج إلى أن تداركها رحمة الرحمن، وفيه أيضاً استنهاض لبواعث الرحمة والتقوى في قلب ذلك الشخص أن يرحم ضعفها ووحدتها.(٢)

وأشارت الاستعاذة إلى صفتين لمريم.

أولهما:- صدق الإيمان وحسن الظن بالله.

إننا ضعفاء إلا بربنا الواحد الأحد، الأمر الذي يفرض علينا أن نتذلل إليه سبحانه، ونقصده ونرجوه إذا وقع المحذور لأنه وحده المأمول منه كشف الملمات وتفريج الكربات، والاستعاذة ترجمة صادقة لهذه المعاني وقد استعاذت مريم واستعاذتها يقين بأن نجاتها بيد الله، وهكذا المؤمن المستسلم لربه حقا لا تزيده الأحداث إلا تعلقا بالله وحسن ظن فيه.

والثاني: العفاف والطهارة.

قليل من يصمد أمام الحوادث، ويصبر على الامتحان، اعتزلت

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١١٥

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ٤/٤٣٠

مريم بدارها تقيم صلاتها ركوعا وسجودا وذكرا وتلاوة، لكن بقي أن تمحص بالتجربة، وظهور الملاك لها بصورة بشر جميل الطلعة، وهي في خلوة بعيدة عن أهلها، فتتعوذ منه وتستدعي عطفه ونخوته دليل عفتها.

يقول الإمام الزمخشرى: ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاءً لها وسبرا لعفتها.(١)

ولم يكن الامتحان سهلا ميسرا، لكن أملها أن يعقل الرجل معنى الاستعاذة فيصحو، وتنجو، ولهذا علقت استعاذتها على شرط تقواه فقالت: "إِن كُنتَ تَقِيًّا" (لأنه لا تنفع الاستعاذة ولا تؤثر إلا في التقي فهو الذي يحترم الاستعاذة ويقدرها ويستجيب لها. أي إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه، فإني عائذة به منك)(٢)

قال ابن كثير: قالت ذلك تذكيرا له بالله وهذا هو المشروع في الدفع وهو أن يكون بالهويني والأسهل فالأسهل.(٣) فالدفع والمقاتلة والمنع بالقوة يسبقهما التذكير بالله.

وذكر العلماء أن "تَقِيًّا" اسم رجل صالح فتعوذت منه تعجبا.

وقيل: إنه اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت يتبع النساء، فظنت مريم أن ذلك المشاهد هو ذلك الفتى، فمن ذلك تعوذت منه، والأول أولى(٤)

---

(١) تفسير الكشاف ٩/٣

(٢) ينظر تفسير البحر المحيط ٢٤٨/٧ ، وحدائق الروح والريحان ١٠٣/١٧ بتصرف

(٣) تفسير ابن كثير ١٠٣/٣

(٤) تفسير القرطبي ٥٢٣/٦

لها على الوجهين المعتبرين بالواو.

فَٱتَّخَذَتْ الفاء: حرف عطف، اتخذت: فعل ماض مبني على الفتح التاء: للتأنيث، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هي.

مِن حرف جر.

دُونِهِمْ دون: ظرف مكان مجرور بالكسرة، وهم: ضمير مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، والجار والمجرور في محل المفعول الثاني لا تخذ.

حِجَابًا مفعول به أول لـ "اتخذ"

فَأَرْسَلْنَا الفاء: حرف عطف، أرسلنا: فعل ماض مبني على السكون، نا: ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل.

إِلَيْهَا إلى: حرف جر، ها: ضمير مبني على السكون في محل جر.

رُوحَنَا مفعول به منصوب بالفتحة، نا: ضمير مبني على السكون في محل جر مضاف إليه.

فَتَمَثَّلَ الفاء حرف عطف، تمثل: فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

لَهَا اللام: حرف جر، ها: ضمير مبني على السكون في محل جر.

بَشَرًا حال منصوب بالفتحة.

سَوِيًّا صفة لـــ "بشرا" منصوب بالفتحة.

قَالَتْ فعل ماض مبني على الفتح، التاء: للتأنيث، الفاعل: ضمير مستتر تقديره هي.

إِنِّي إن: حرف توكيد ونصب، الياء: ضمير مبني على السكون في محل نصب اسم إن.

أَعُوذُ فعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، والجملة في محل رفع خبر "إن"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مِنكَ من: حرف جر، والكاف: ضمير مبني على الفتح في محل جر.

بِالرَّحْمَنِ الباء: حرف جر، الرحمن : اسم مجرور بالكسرة.

إِن حرف شرط جازم.

كُنتَ فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط والتاء: ضمير مبني على الفتح في محل رفع اسم كان.

تَقِياً خبر كان منصوب بالفتحة، وجواب الشرط مقدر تقديره "إن كنت تقيا" لله تعالى فاتركني وابتعد عني.

البشارة بعيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾.

استعاذت مريم، وانتظرت بعدها رد الرجل انتظار القلق المضطرب، فلم تكن تملك حياله سوى كلمات هى السيف لو وعاها، ولم يطل انتظارها ، فقد طمأنها، ووضح مهمته ورسالته العظيمة.

قال ابن كثير: فأسرع جبريل مجيبا لها، ومزيلاً ما حصل عندها من الخوف على نفسها.(١)

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ .....﴾ الذى استعذت به ولست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر ، فأنا ملك من الملائكة أرسلنى إليك.(٢)

وقد عبر تعالى بلفظ الرب فقال "رسول ربك" ولم يقل "رسول الله" لأن للربوبية عطاءاً مادياً محسوساً، فالرب (هو المالك والسيد والمدبر

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ /١١٥.

(٢) تنوير الأذهان ٢/٤١٠ .

والقيم والمنعم)[١] فكأنه يقول لها لا تخافى ولا تجزعى فإنما أنا رسول ربك الذى يتولاك ويحسن إليك ويحفظك .

ثم فصل جبريل المهمة التى كلف بها فقال: ما جئت هنا إلا "لأَهَبَ لَكِ..." لأمنحك وأعطيك بلا مقابل، فالهبة هى (العطية الخالية عن الأعواض والأغراض).[٢]

"غُلاماً....." ولداً ذكراً ، فالغلام هو الطار الشارب، وقيل هو من حين يولد إلى أن يشيب.[٣]

وقد أسند جبريل الهبة إلى نفسه فقال: "لأهب لك" وهذه قراءة الجمهور على اعتبار:

أ) أن جبريل لما بشرها بذلك، كانت تلك البشارة الصادقة جارية مجرى الهبة.

ب) أن الهبة لما جرت على يده، بأن كان هو النافخ فى جيبها بأمر الله، جعل نفسه كأنه هو الذى وهب لها، وإضافة الفعل إلى ما هو سبب له مستعمل، قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾[٤] .

ويؤيده أن فى بعض المصاحف "أمرنى أن أهب لك" وقرأ أبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب "ليهب" بالياء، والضمير هنا لله، أى ليهب الله لك.[٥]

قال ابن جرير: والصواب من القراءة فى ذلك، ما عليه قرأ الأمصار وهو "لأهب لك" بالألف دون الياء، لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين، وعليه القراء قديمهم وحديثهم، غير أبى عمرو، وغير جائز

---

(١) لسان العرب ٥/٩٥.

(٢) لسان العرب ١٥/٤١١.

(٣) المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد ١/٧٥٧.

(٤) إبراهيم آية ٣٦.

(٥) الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، د/هشام عبد الجواد الزهيري ٢/٧، ٨ .

AMERA
realme C11 2021
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خلافهم فيما أجمعوا عليه، ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم.(١)

وعلى هذا فالمعنى : إنما أنا رسول ربك يا مريم أرسلنى إ
لأكون سبباً فى وجود غلام ليس كأى غلام و إنما يكون غلاماً "زكياً"
(طاهرا من كل ما يدنس البشر، ناميا على الخير والبركة).(٢)

وبهذا انطوت بشارة جبريل عليه السلام على ثلاثة أمور :

١_على أن الولد غلام ذكر.

٢_ وأنه يبلغ أوان الحلم.

٣_ وأنه يكون زكيا. (٣)

واطمأنت مريم ببشارة جبريل عليه السلام ، وصدقت أنه رسول
حقاً ، ولعلها رأت منه، أو أدركت ما جعلها تأمنه.

يقول صاحب اللباب: ولأن الخوف لا يزول بمجرد هذا القول
لابد من دلالة تدل على أنه جبريل عليه السلام، فيحتمل أن يكون قد أظ
معجزاً عرفت به أنه جبريل، ويحتمل أنها عرفت صفة الملائكة من ج
زكريا صلوات الله عليه، فلما قال لها: "إنما أنا رسول ربك" أظهر لها م
جسده ما عرفت به أنه ملك، فيكون ذلك هو العلم، والذى يظهر أنها كان
تعرف صفة الملك بالأمارات حين كان يأتيها بالرزق فى المحراب وقال ل
زكريا ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.(٤)

تلك البشارة لا شك أسعدتها، لكن هزت كيانها إذ فكرت فى الأسبا
الطبيعية لوجود مثل هذا الغلام، فهو لا يتأتى إلا عن طريق الزواج

---

(١) تفسير الطبري ٤٨٨/١٥ .

(٢) السراج المنير ١٠٤/٤ .

(٣) ينظر المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد ٧٥٧/١ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٣٥/١٣، والآية رقم ٣٧ من سورة آل عمران .

التلوث بالرذيلة، وهى لا هذا ولا ذاك، فتعجبت و
﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ .....﴾كيف الد هذا الغلام الذى تتحدث
عنه و بأى كيفية
﴿... وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ .....﴾ بنكاح.

قال الزمخشرى: جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه لقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ...﴾[1] وقوله: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ.....﴾[2] والزنا ليس كذلك إنما يقال فجر بها، وخبث بها، وما أشبه ذلك.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِياً.....﴾ البغى: المجاهرة المشتهرة فى الزنا،[3] وكل موضع ذكر فيه البغى فلابد من معنى المجاوزة فيه، بغت المرأة أى تجاوزت فى الفجور الحد. [4]

قال ابن منظور : وبغت المرأة بغاء: زنت، والبغاء جمع بغى، ولا يقال بغية. [5]

لأنها على وزن فعول، والأصل (بغوى) اجتمعت الواو والياء، وجاءت الأولى ساكنة فقلبت الواو ياء، وأدغمت مع الياء الثانية ثم كسرت الغين اتباعاً .

وهذا الوزن "فعول" لا تلحق صفاته تاء التأنيث كما لم تلحق فى صبور وشكور، وقيل إن وزنها فعيل، ولم تلحقها التاء أيضاً لأنه من

---

١) البقرة آية ٢٣٧ .
٢) النساء آية ٤٣ .
٣) تفسير الكشاف ٩/٣ وينظر البحر المحيط ٢٤٩/٧.
٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٢١٣/١ .
٥) لسان العرب ٤٥٧/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصفات اللاحقة بالأنثى مثل حائض وطالق.(١)

﴿ قَالَ.....﴾ جبريل عليه السلام

﴿ كَذَٰلِكِ.....﴾ أنت كما قلت لم يمسسك بشر لا بزواج ولا بغيره لكن

﴿ قَالَ رَبُّكِ.....﴾ الذى أرسلنى إليك أن إنشاء مثل هذه الولادة العذرية، والتكاثر من أم بلا أب، وإن كان مخالفا للعادة ﴿عَلَيَّ....﴾ أنا وحدى.

﴿هَيِّنٌ.....﴾ سهل خفيف لا صعوبة فيه ولا تعب.

قال ابن منظور: هان الشيء هونا: لان وسهل فهو هين ، ويجوز التخفيف فيقال هيْن.(٢)

لا يتوقف فعله على أسباب، ولا يخضع لقوانين، ولا لقياس لأن كلها مخلوقة ولا تخضع إرادة الخالق لقوانين خلقه، فالأمر عنده تعالى يحتاج أكثر من قوله للشيء كن فيكون قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْ أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٣)

ثم إن هذا الحديث عن إنجاب بلا أب إن كان مستغربا فى الماض فالعلم الآن بناء على الشواهد والملاحظات والتجارب يقرب المسألة، وي أن مثل هذا الأمر ليس بدعا فى الخلق، ولم يعد مستحيلاً بل صار مم وهناك أمثلة معروفة استقرت عليها العلوم لا يتدخل الذكر فيها بالإنجا وللإيضاح نذكر منها ما يلي:

أولاً/ عالم النحل وفيه يتم التكاثر عذرياً بإحدى طريقتين.

---

(١) ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ٢٨٤/٨. والبحر المحيط ٢٤٩/٧

(٢) ينظر لسان العرب ١٦٤/١٥، والمعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد ٤٥٤/٢

(٣) يس آية ٨٢ .

MERA
realme C11 2021
2024/08/08 1
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ) عن طريق الملكة.

من المعلوم أن فى كل خلية نحل توجد ملكة واحدة فقط، تضع حوالى ٢٠٠، ٢٥٠ ألف بويضة فى الموسم الواحد أو ما يقارب ١٥٠٠ بويضة فى اليوم ، معظمها ملقح تنتج النحلات الشغالات المنتجة للعسل وغيره، وعدد قليل منها غير ملقح، والتى من المفروض كما فى بقية المخلوقات أن لا تنتج شيئا، ولكن فى حالتها الخاصة فإنها بقدرة الله تعالى تعطى ذكور النحل، ويلاحظ أنه بعد أربع سنوات من حياة الملكة تميل إلى وضع بيوض غير ملقحة، وذلك لقرب مخزونها من النطف المنوية بالنفاذ، وهذا الأمر يضعف خلية النحل ، علما أنها تلقح مرة واحدة، وغالباً من قبل ذكر واحد فى الجو "الهواء الطلق تحديداً" فى رحلة التلقيح "التزاوج" والتى تستغرق عادة عشرين دقيقة.(١)

ب) عن طريق الملكة الكاذبة، أو الأم الكاذبة.

حيث أنه فى حالة موت أو فقدان الملكة لأى سبب كان، تقوم الشغالات الفتية بتغذية إحداهن بالغذاء الملكى، فتنمو مبايضها – التى هى خامرة ومتوقفة عن العمل أصلاً، وغير قابلة للتلقيح ولا تنتج بيوضاً – وتبدأ بوضع بيوض غير ملقحة، تعطى ذكوراً فقط، وهذا تكاثر عذرى غير جنسى فريد من نوعه بقدرة الله تعالى.(٢)

---

١) ينظر النحل معجزة المعجزات ص ٢١٤– ٢١٧ والحشرات في القرآن الكريم والسنة المطهرة ص ٥١–٥٤ وتربية النحل والملكات وإنتاج العسل ص ٢٩–٣٢ وموسوعة تربية النحل ص ١٥– ١٧ ومعجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبراهين ص ٣، ٣٨ – ٤٢ بتصرف.

٢) ينظر موسوعة تربية النحل ص ٦٢ ومعجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبراهين ص ٣٢، ٣٨–٤٢ والنحل معجزة المعجزات ص ١٤٤، ٢٧٢، ٢٧٣ وتربية النحل والملكات وإنتاج العسل ص٣٣–٣٤ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً/ شجرة النخيل.

النخيل أنواع مختلفة تجمعها عائلة واحدة، تسمى النخيليات وتضم ٣٥٠٠ نوع من النخل، نخيل البلح، نخيل جوز الهند، نخيل الزيت، نخيل السكر، نخيل الدوم وغيره، قال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ﴾(١).

والنخيل بكل أنواعه تجمعه صفة واحدة، وهى أنها شجرة دائمة الخضرة ولا يسقط ورقها.(٢)

والتكاثر فيه يتم بطريقتين:

أ) التكاثر بالبذور "النوى":

وفيه تعلو نسبة الذكور التى قد تصل إلى ٥٦% والباقى إناث، كما أن النخلة التى نشأت من نواة تكون لها صفات وراثية جديدة، تختلف عن الصفات الوراثية للنخلة الأم، ولا تعرف حتى يحين موعد الإزهار والإثمار، وقد تكون الصفات الجديدة جيدة، أو رديئة .

ب) التكاثر بالفسائل:

هو تكاثر لا جنسي، وينتج نخلاً له نفس الصفات الوراثية من النخلة الأم، ومطابقة لها تمام التطابق، والفسائل أجنة تنمو فى أول منطقة الجذع فى النخل الذكور والنخل الإناث، وتنمو من جذع النخلة المثمرة نحو عشر فسيلات، وكل فسيلة تحمل الصفات الوراثية كاملة من النخلة الأم فالفسيلة تنتج نخلة ذكرا إذا كانت من نخلة ذكر، ونخلة أنثى إذا كانت من نخلة أنثى، ويمكن فصلها عن الأم وزراعتها فى مكان آخر، لذلك فالفسيلة لها أم

---

(١) النحل آية ٦٧ .

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د/أحمد شوقي إبراهيم ٥/٩٧-١٠٠، والإعجاز العلمي في السنة النبوية، د/زغلول النجار ص ٣١٤.

وليس لها أب.[١]

ثالثاً : الاستنساخ :

وهو عبارة عن أخذ خلية جسدية من كائن حى تحتوى على كافة المعلومات الوراثية، وزرعها فى بويضة مفرغة من مورثاتها -النواة- وبعد أن تتكاثر قليلاً يتم إدخالها فى الرحم، ليأتى المخلوق الجديد أو الجنين مطابقاً تماماً للأصل، أى الكائن الأول الذى أخذت منه الخلية.[٢]

وتمت هذه التجربة على الحيوان، وخرج العلماء فى أواخر القرن الماضى بمولود جديد، ليس للذكر فيه أى دور، وهو ما عرف علمياً بالنعجة دولى، ومثل هذا الأسلوب يستعمل فى الهندسة الوراثية فى النبات.

وهكذا فى الإنسان، فالأمر لا يحتاج أكثر من الحصول على خلية بنية من جسم رجل، أو جسم امرأة لا يهم، ورحم أى امرأة، ومعمل أجنة أنابيب، ومثل هذه المواد تتوافر فى أضعف معمل فى أفقر دولة، لكنه محظور أخلاقياً، لما يترتب عليه من أخطار تعصف بالمجتمع، بل وبالحياة.

إذن فإن كان إنجاب البكر هنا قد تم عن طريق الإعجاز، إلا أن العلم اليوم يعلن إمكانية وقوعه عن طريق الاستنساخ، وهو إنجاب بدون زواج، بل بدون الحاجة إلى رجل أصلاً، فمن المعروف أنه قد يستغنى فى الاستنساخ عن الرجل، لكن لا يمكن أن يستغنى فيه عن المرأة.

---

(١) ينظر موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ٢٤/٥، ٢٥، ونخلة التمر ماضيها وحاضرها ص ٢٨٩-٢٩٢

(٢) الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق، حسين فضل الله، د/ عادل العوا، عبد الواحد علواني، عدنان السبيعي، فرانسو أبو مخ، محمد عدنان سالم، د/ هاني رزق، د/ وهبة الزحيلي ص ١١٧، والاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء، د/ كارم السيد غنيم ص ٦٩.

realme C11 2021 AI CAMERA
2024/08/08 11:47
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولعل ما ذكرناه من الأمثلة الثلاثة وهى باختصار:

١) إنتاج ذكور النحل من بيوض غير ملقحة سواء من الملكة الحقيقية أو الكاذبة .

٢) نقل نموات خضرية - الفسائل - من جذع النخلة، وزرعها فى مكان أخر فتنتج نخلاً.

٣) الاستنساخ.

مثلاً واقعياً جعله الله نموذجاً مقرباً لمعجزة خلق عيسى بن مريم، والمعجزات عموماً تزداد وضوحاً، وتصديقاً بتقدم العلم .

وبالنسبة لمريم عليها السلام فإن خلق المسيح بهذه الصورة العجيبة والخارقة للعادة ليس غريباً، فهو استكمال لحلقة من المعجزات، وأمور غير معهودة خبرتها من قبل ومنها:

أ) كانت أول مولود فى تاريخ بنى إسرائيل يقبل كأنثى فى خدمة الهيكل.

ب) كان الرزق يأتيها من عند الله فلم تتكلف عناء السعى وحمل الجميل.

ج) استجاب الله تعالى لزكريا عليه السلام، ووهبه يحيى عليه السلام بعدما بطلت الحيل، وامتنعت الأسباب.

فتقبلى قضاء ربك ولا تكرهى من أمر الله شيئا ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[1] ومن هذا الخير يقول تعالى:

"وَلِنَجْعَلَهُ....." فعلنا ذلك لنجعل هذا الغلام الذى نهبه لك

" آيَةً....." (علامة ظاهرة)[2] وعبرة وبرهاناً على كمال

---

(١) النساء آية ١٩

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ١/١٤٨ .

القدرة الإلهية فى تنوع الخلق فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر وأنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر و أنثى. (١)

وخلق يحيى وإسحاق بعد تعذر أسبابه، ومنع الولد مع توفر الأسباب، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(٢) وآية على صدق أمه وبراءتها، فالآية لا تخص عيسى وحده قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾(٣) وقال: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...﴾(٤) (فلم يقل آيتين لأن كل واحد صار آية بالأخر).(٥)

قال ابن سيدة: ولو قال آيتين لجاز لأنه قد كان فى كل واحد منهما ما لم يكن فى ذكر ولا أنثى، من أنها ولدت بدون فحل، ولأن عيسى بن مريم روح الله ألقاه فى مريم، ولم يكن هذا فى ولد قط. (٦)

" وَرَحْمَةً مِّنَّا....." عظيمة لعبادنا بما يحمله من رسالة هى دعوة إلى حياة حقيقية إذ يبين لهم ما اختلفوا فيه من الدين، ويقدم لهم أسمى التعاليم والقوانين البناءة، فيصلح لهم دنياهم وأخراهم وكل نبى هو رحمة لأمته إذا ما اتبعوه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(٧) حتى بعد موته يسيرون على هدى شريعته﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِباً عَلَى

---

(١) ينظر التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب ٢٩/٤ .

(٢) الشورى آية ٥٠ .

(٣) المؤمنون آيه ٥٠ .

(٤) الأنبياء آية ٩١ .

(٥) المعجم الإسلامي ٩٢/١، عمدة الحفاظ ١٤٩/١ .

(٦) المعجم الفريد ١٠٦/١ .

(٧) الإسراء آية ١٥ .

وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِياً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١) فهو رحمة لهم فى حياته، وبعد مماته، كذلك فهو رحمة منا (بعيسى فى إكرامه بالنبوة والرسالة، وبوالدته لما يحصل لها من الفضل والشرف والثناء الحسن.)(٢)

" وكَانَ ....." خلق المسيح بهذه الطريقة

" أَمْراً مَّقْضِياً....." محسوما ومنتهيا فى سابق علمى، فقضاء الشيء: إحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه، ومنه سمى القاضى، لأنه إذا حكم فقد فرغ مما بين الخصمين.

وقال ابن عطية: قضى معناه: قدر.(٣)

ومقضيا: اسم مفعول من الثلاثى قضى، فهو فى الأصل على وزن مفعول أى مَقْضُوْى، فلما اجتمعت الواو والياء والأولى ساكنة، قلبت الواو ياء، وأدغمت مع الياء الأخرى، ثم كسرت الضاد لمناسبة الياء.(٤)

بهذه الكلمة يوقف الحق سبحانه وتعالى سيلاً من الأسئلة، ويطوى كثيراً من المناقشات، والأخذ والرد الذى لا يفيد ولا يغير من الأمر شيئا يقول تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٥) فما حكمت بوقوعه يا مريم فهو كائن لا محالة، فلا فائدة من الحزن وإنما انظرى إليه بعين الرضا فستظهر لك حكم وأسرار ليست لك وحدك وإنما للناس جميعا.

منها: أن خلق المسيح بهذا الشكل يفتح بابا من أبواب الأمل أمام من ضاقت بهم الحياة، وألمت بهم الكربات، ألا يفتروا عن الطلب، ولا يشكوا

---

(١) الملك آية ٢٢ .

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٣٠/٤ .

(٣) المعجم الفريد ٩٧،٩٨/٢ .

(٤) ينظر السابق ٢ / ٩٧ ، ٩٨ والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ٢٨٥/٨ ، ٢٨٦.

(٥) ق آية ٢٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى حصول ما يتمنونه، فقدرته تعالى بلا حدود، وإرادته لا تحتبس داخل النواميس والسنن التى وضعها هو بحكمته، فلو أراد الله لعبد خيراً فلن تعوقه أسباب أو تحجبه موانع، لأنه مالك الأسباب ومنشؤها، وهذه دعوة لتقوية العزيمة وتجدد الرجاء.

ومنها: أيضا أن القضاء وإن كان مرا فهو سبيل إلى معرفة الحق سبحانه.

(قال فى شرح الحكم: ثم إذا تأملت ظهر لك أن التحقق بالمعرفة منطو فى وجود البلايا، إذ ليست المعرفة إلا بتحقيق أوصافه تعالى حتى يفنى فى أوصافه كل شئ من وجودك، فلا يبقى لك عز مع عزه ولا غنى مع غناه، ولا قدرة مع قدرته، وهذا يتحقق لك بوجود البلية، إذ هى مشعرة بقهر الربوبية ، وهذا هو معنى قولهم: "من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب" وفى الحديث "إذا أحب الله عبداً ابتلاه"(١).

فالواجب على العبد الحمد على البلية، لما تضمنته من النعمة، فإن فقد فالصبر وكلاهما من طريق العبودية.(٢)

وهكذا بهذه الآية لا يسع العبد أمام القضاء، إلا الرضا بالمقسوم، واستحسان القدر، والقناعة بما وهب.

---

(١) أخرجه الشاشى في المسند ٩٠/٢ حديث ٦١٢، والبيهقي في الشعب باب في الصبر على المصائب وعما تنـزع إليه النفس من لذة وشهوة، فصل فـي أي النـاس أشـد بـلاء ٢٣٦/١٢، حديث رقم ٩٣٢٩ .

(٢) تنوير الأذهان ٤١٠/٢ .

الإعـــراب

قَالَ فعل ماض مبنى على الفتح ، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو أى الملك

إِنَّمَا إن حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح ، " ما " كافة وإن مكفوفة ، وهى حرف زائد مبنى على السكون

أَنَا ضمير مبنى على السكون فى محل رفع مبتدأ

رَسُولُ خبر مرفوع بالضمة وهى مضاف

رَبِّكِ رب ، مضاف إليه مجرور بالكسرة ، والكاف: ضمير مبنى على الكسر فى محل جر مضاف إليه.

لأَهَبَ اللام: للتعليل ، و أهب: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا ، وأن المضمرة والمضارع فى تأويل مصدر فى محل جر باللام .

لَكِ اللام: حرف جر ، والكاف : ضمير مبنى على الكسر فى محل جر ، والجار والمجرور متعلق ب " أهب "

غُلاماً مفعول به منصوب بالفتحة.

زَكِياً صفة ل " غلام "منصوب بالفتحة.

قَالَتْ فعل ماض مبنى على الفتح ، والتاء: تاء التأنيث ، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هى أى مريم.

أَنَّى اسم استفهام بمعنى كيف وفيه تعجب واستبعاد، مبنى على السكون فى محل نصب حال مقدم .

يَكُونُ فعل مضارع مرفوع بالضمة .

لِي اللام حرف جر ، الياء : ضمير مبنى على السكون فى محل جر ، وشبه الجملة فى محل نصب خبر " يكون " مقدم.

غُلامٌ اسم يكون مؤخر مرفوع بالضمة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الواو: حالية ، ولم : حرف نفى وجزم .

يُغْنِيَنِّي فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة الجزم السكون ، والنون : للوقاية، والياء: ضمير المتكلم مبنى على السكون فى محل نصب مفعول به .

فاعل مرفوع بالضمة .

الواو حرف عطف ، ولم حرف نفى وجزم .

يَكُ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ، وعلامة جزمه السكون الظاهر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها ضمير مستتر يعود على مريم تقديره أنا .

خبر أكن منصوب بالفتحة .

قَالَ فعل ماض مبنى على الفتح ، الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو .

ذَٰلِكَ الكاف : حرف جر ، ذلك : اسم إشارة مبنى على السكون فى محل جر ، وشبه الجملة فى محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره " الأمر " واللام للبعد والكاف حرف خطاب.

قَالَ فعل ماض مبنى على الفتح .

رَبُّكَ رب: فاعل مرفوع بالضمة وهى مضاف، والكاف : ضمير مبنى على الكسر فى محل جر مضاف إليه .

هُوَ ضمير مبنى على الفتح فى محل رفع مبتدأ .

عَلَيَّ على : حرف جر ، الياء: ضمير مبنى على الفتح فى محل جر .

هَيِّنٌ خبر مرفوع بالضمة .

وَلِنَجْعَلَهُ الواو : حرف عطف ، اللام : حرف تعليل ، نجعل : فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، والهاء : ضمير مبنى على الضم فى محل نصب مفعول به أول .

آيَةً مفعول به ثان منصوب بالفتحه.

لِّلنَّاسِ اللام: حرف جر، الناس: اسم مجرور بالكسرة، والجار والمجرور صفة ل "آية"، وأن المضمرة والمضارع فى تأويل مصدر فى محل جر باللام متعلق بفعل محذوف تقديره خلقناه كذلك لنجعله .

وَرَحْمَةً الواو: حرف عطف، رحمة : معطوف على " آية " منصوب بالفتحة .

مِّنَّا من: حرف جر، نا: ضمير مبنى على السكون فى محل جر، والجار والمجرور صفة ل "رحمة".

وَكَانَ الواو: حرف عطف، كان: فعل ماض ناسخ مبنى على الفتح ، واسم كان مقدر تقديره "وكان خلقه من غير أب"

أَمْراً خبر كان منصوب بالفتحة.

مَّقْضِياً صفة ل " أمرا " منصوب بالفتحة.

لحظات عصيبة :

قال تعالى : ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِياً (٢٢) فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِياً﴾

" فَحَمَلَتْهُ....." لم تتحدث الآية عن كيفية نشوء وتكون هذا المولود وإنما ذكرت آية الأنبياء و التحريم أنه كان عن طريق النفخ ، قال تعالى : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِا مِن رُّوحِنَا.....﴾ (١) . وقال عز شأنه: ((فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا)) (٢)

واختلف المفسرون فى تعيين موضع النفخة ، كما اختلفوا فى النافخ .

---

(١) الأنبياء آية ٩١ .

(٢) التحريم آية ١٢.

(فقال بعضهم : كان النفخ من الله تعالى لهذه الآيات ، ولأنه تعالى قال : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ (١) ومقتضى التشبيه حصول المشابهة إلا فيما أخرجه الدليل، وفى حق آدم النافخ هو الله تعالى لقوله عزوجل ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾(٢) فكذا هاهنا .

وقال أخرون : النافخ جبريل عليه السلام وهو الظاهر من قوله تعالى " لِأَهَبَ لَكِ "

لكن اختلف فى كيفية نفخه فقيل :

ا) أن جبريل عليه السلام رفع درعها ، فنفخ فى جيبها ، فحملت حين لبسته .

ب) وقيل : نفخ جبريل من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى فى الحال.

ج) أن النفخة كانت في فيها ، فوصلت إلى بطنها .

د) نفخ فى كم قميصها . (٣)

وهكذا لم يعين القرآن موضع النفخة لكنه أشار إليها فى آيتى الأنبياء والتحريم ، فمن الملاحظ عود الضمير فى سورة الأنبياء على مريم وعوده على الفرج فى سورة التحريم ، ربما ليبين أن النفخ سواء كان عن طريق الفم، أو جيب الدرع، أو كم القميص، فقد سلك طريقه إلى الفرج وحملت كما تحمل النساء .

قال الشنقيطى رحمه الله: "وبين تعالى فى سورة التحريم أن هذا

---

(١) آل عمران آية ٥٩ .

(٢) الحجر آية ٢٩ .

(٣) ينظر اللباب في علوم الكتاب ٣٦/١٣، والسراج المنير ١٠٥/٤، وتفسير الخازن ٢٤٢/٣ .

النفخ فى فرجها فى قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (١).

فالضمير فى قوله فيه راجع إلى فرجها، ولا ينافى ذلك قوله تعالى فى الأنبياء ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾(٢)، لأن النفخ وصل إلى الفرج فكان منه حمل عيسى.(٣)

وكانت حينئذ بنت ثلاث عشرة سنة ، وقيل : بنت خمس عشرة سنة ، وقيل بنت عشرين وقيل غير ذلك. (٤)

قال الطبرى: وزعمت النصارى أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وأن عيسى عاش إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما، وأن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين، فكان جميع عمرها نيفا وخمسين سنة.(٥)

وكما لم يعين القرآن الكريم سنها، كذلك لم يصرح بمدة الحمل وكلمات المفسرين مختلفة فى هذا الشأن. فمنهم من ذكر أن مدة الحمل تسعة أشهر كسائر النساء فى الغالب .

وقيل: ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى، لأنه لم يعش ولد يولد لثمانية أشهر إلا عيسى عليه السلام.

وقيل : سبعة أشهر

وقيل: ستة أشهر. (٦)

قال وهب بن منبه: إن مريم لما حملت بعيسى ، كان معها ابن عم

---

(١) التحريم آية ١٢ .

(٢) الأنبياء آية ٩١ .

(٣) الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة ٨/٢ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٣٧/١٣ .

(٥) تفسير القرطبي ٥٢٤/٦ .

(٦) تفسير الخازن ٣ / ٢٤٢ .

AI CAMERA
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لها يقال له: يوسف النجار، وكانا يخدمان المسجد، ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما، وأول من علم بحمل مريم يوسف، فبقى متحيراً فى أمرها، كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها، وأنها لم تغب عنه، وإذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل، فأول ما تكلم به أن قال: إنه وقع فى نفسى من أمرك شئ، وقد حرصت على كتمانه، فغلبنى ذلك، فرأيت أن أتكلم به أشفى لصدرى، قالت: قل قولاً جميلا .

قال: أخبرينى يا مريم ، هل ينبت زرع بغير بذر؟ وهل ينبت شجر بغير غيث؟ وهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر؟ ألم تر أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث؟

أو تقول أن الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها، قال يوسف: أنا لا أقول هذا، ولكنى أقول: إن الله تعالى قادر على كل شئ، يقول له كن فيكون، قالت له مريم : ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ، ولا أنثى ، فعند ذلك زال ما عنده من التهمة .

وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل، فلما دنت ولادتها أوحى الله إليها أن اخرجى من أرض قومك. وهذا يفيد أن مدة الحمل متطاولة.

وقيل: ثلاث ساعات، حملت به فى ساعة، وصور فى ساعة، ووضعته حين زالت الشمس من يومها.

وقال ابن عباس: كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة، ويدل عليه وجهان:

الأول: قوله :"فحملته فانتبذت به" "فأجاءها المخاض" "فناداها من

تحتها" والفاء للتعقيب، فدلت هذه الفاءات على أن كل واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الأخر من غير فصل، وذلك يوجب كون مدة الحمل ساعة واحدة لا يقال: انتباذها مكانا قصيا كيف يحصل فى ساعة واحدة، لأنا نقول: السدى: فسر بأنها ذهبت إلى أقصى موضع فى جانب محرابها.

الثانى: أن الله تعالى قال فى وصفه " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" فثبت أن عيسى صلوات الله عليه كما قال الله تعالى: "كُن" فكان وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل، إنما يتصور مدة الحمل فى المتولد عن النطفة.(١)

ويؤيده أنه لم ينقل فى كتابنا، ولا عن نبينا ﷺ أنهم أنكروا عليها زمن الحمل، ولو علموا به لأنكروه، ولو أنكروه لنقل كما نقل إنكار الولادة.(٢)

قال القرطبى: وهذا هو الظاهر(٣)

لأن المعجزة هى خرق لقوانين الخلق فهى بين الكاف والنون، لا تتعلق بسبب ولا تخضع لزمن، كذلك، فالمعجزة ظاهرة فى كل مراحل حياته عليه السلام، فالحمل به كان معجزة، ونطقه فى المهد معجزة ، وإخباره بالمغيبات وإحياؤه الموتي معجزة، ورفعه معجزة، فهي متحققة، فى كل حياته وبما فيها مدة الحمل أيضاً، حيث شعرت به مريم يتحرك فى بطنها.

"فَانتَبَذَتْ بِهِ....." ابتعدت بحملها واعتزلت أهلها، ليس للعبادة كالانتباذ الأول، وإنما .

---

(١) تفسير الرازي ٢٠٢/١١ ، ٢٠٣ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٢٩/٤.

ا) (خوفا على ولدها من القتل لو ولدته بين أظهرهم .
ب) استحياء من زكريا، فذهبت إلى مكان بعيد لئلا يعلم بها.
ج) استحياء من قومها، إذ كانت مشهورة فى بنى إسرائيل بالزهد
خذ أمها، وتشاحّ الأنبياء فى تربيتها، وتكفل زكريا بها، وكان الرزق يأتيها
ن عند الله تعالى، فلما كانت فى نهاية الشهرة، استحيت من هذه الواقعة ،
ذهبت إلى مكان بعيد.)[1]

ويلاحظ من إعادة التعبير بلفظ "انتبذت" أن هذا البعد أيضاً كان
بلطف وخفاء بعيداً عن كل ما يجلب الانتباه، إذ أ سرعت بالخروج متخفية
، رغم الكثير من المشكلات التى ستواجهها، فقد كان الخوف من الاتهام
أكثر ما يشغل فكرها ، فمن الذى سيقتنع بأن امرأة لا زوج لها تحمل دون
ن تكون قد انحرفت، والمؤلم أكثر أن مريم منذ نعومة أظافرها لم تفارق
المحراب، ولم تشتغل بشئ سوى العبادة، حتى الرزق كان يأتيها عفواً، ومع
ذلك آثرت البعد عن بيت المقدس، ولم تفكر أن تفضى بسرها حتى لزكريا
عليه السلام، وهو المتوقع منه إعانتها وتصديقها، فهو الذى تعهدها بالرعاية
البدنية والروحية، وأعلم الناس بحالها، وهو الذى ناله بسببها الخير وتحقق
له على يديها حلمه، إذ حالها مع ربها أحيا عنده رجاء قديما، وأعطاه
الأمل، وألهمه الدعاء.

رغم ذلك لم تستطع أن تحدثه بما جرى فاعتزلت.

" **مَكَاناً قَصِياً....**" قال ابن منظور: أى بعيدا، يقال: مكان قاص،
وقصى بمعنى واحد. [2]

وبُعد هذا المكان الذى انتبذت إليه، هو بُعد عن مساكن أهلها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٣ /٣٨.
(٢) لسان العرب ١١/١٩٨ ، ١٩٩.

قال ابن عباس: أقصى الوادى، وهو وادى بيت لحم.

وقيل: كان هذا المكان وراء الجبل.

وقيل: أبعد مكان فى تلك الدار.

وقيل: أنها فرت إلى مصر. (١)

والأقرب هو الأول، فهذا المكان القصى هو شرقى بيت لحم حيث ولد المسيح عليه السلام، قال ابن كثير: والمشهور أنه بيت لحم، وهى قرية تبعد عن بيت المقدس ثمانية أميال إلى الشرق، وهذا هو المشهور الذى تلقاه الناس بعضهم عن بعض، ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم.(٢)

كما ورد فى حديث الإسراء الذى رواه أنس ابن مالك رضى الله عنه وفيه يقول ﷺ: " ..... ثم قال :- أى جبريل- انزل فصل، فنزلت فصليت، فقال أتدرى أين صليت؟ صليت ببيت لحم، حيث ولد عيسى عليه السلام".(٣)

خرجت مريم ولا تدرى أين تذهب، وخروج الأنثى بهذا الشكل تحيطه مخاطر عديدة، أدناها آلام الوضع التى تحاصرها، فالمرأة فى مثل هذا الحال تحتاج إلى قابلة، فإن لم تكن فرفيق من أهلها كأمها أو خالتها، كذلك فهى فى حاجة إلى مكان للاستراحة أو ستر تتوارى فيه عن أعين الناس، ناهيك عن الاحتياج إلى الطعام والشراب، وتحضير ما تحفظ به هذا المولود بعد خروجه، لا شك أنها أزمات وهموم كبيرة لم تكف عن التفكير فيها حتى .

---

(١) حدائق الروح والريحان ١٠٦/١٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١١٦/٣.

(٣) سنن النسائي، كتاب الصلاة – باب فرض الصلاة، حديث ٤٥٠، ٢٢١/١، والبزار فى مسنده ٤٠٩/٨، ٤١٠ حديث رقم ٣٤٨٤ والطبراني في الكبير ٧/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ حديث رقم ٧١٤٢ مطولا.

MERA
realme C11 2021
2024/08/08 11:48
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"فَأَجَاءَهَا....."(أتى بها، يقال: جاء وأجاء لغتان بمعنى واحد، الأصل فى جاء أن يتعدى لواحد بنفسه، فإذا دخلت عليه الهمزة كان قياس يقتضى تعديته لاثنين، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل، فصار معنى الإلجاء إلى كذا. وعلى هذا يكون معنى "فأجاءها أى ألجأها، وساقها، واضطرها إلى، وقرأ حماد بن سلمة "فاجأها" بألف بعد الفاء وهمزة بعد الجيم من المفاجأة، فيكون ل "فأجاءها" ثلاث معانى: أتى بها، و ألجأها، و فاجأها.(١)

وفى قراءة ابن مسعود "فَأَوَاها"(٢) من الإيواء، وهذا معنى رابع.

"المَخَاضُ....." وجع الولادة، من مخضت الحامل، مِخاضا ومَخاضا، بكسر الميم وفتحها، دنا ولادها وأخذها الطلق فهى ماخض، والجمع مُخَّض بضم الميم وتشديد الخاء ومواخض، ومنه مخض اللبن: إذا استخرج زبده، ومخض الشئ: حركه شديدا، ومخض الرأى: قلبه وتدبر عواقبه حتى ظهر له الصواب، وللميم والخاء مجتمعتين معنى يكاد يكون متقاربا، فهى تشير إلى الانزلاق، ومنه مخر البحر والماء: أى شقه مع صوت، ومخط، وامتخط معروفة. (٣)

والجمهور على فتح الميم من "المخاض" وروى عن ابن كثير بكسر الميم فقيل: هما بمعنى واحد، وقيل: المفتوح اسم مصدر كالعطاء والسلام، والمكسور مصدر كالقتال واللقاء.(٤)

"إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ....." الجذع هو أول ما يظهر من النخلة على

---

(١) ينظر القرطبي ٥٢٤/٦، التحرير والتنوير ٨٥/٧، واللباب في علوم الكتـــاب ٣٩/١٣ ، ٤٠.

(٢) النكت والعيون ٣٦٣/٣.

(٣) ينظر المعجم الوجيز ص ٥٧٤ ، ٥٧٥، وإعراب القرآن الكريم وبيانه ٨٢/٦.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٤٠/١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سطح الأرض، ويبلغ طوله نحو المتر أو المتر ونصف المتر، وقد يزيد على ذلك قليلا، وما بعد ذلك يسمى ساق النخلة، ولا تنمو على الجذع أوراق، فالأوراق لا تنمو إلا على الساق. (١)

وذكر المفسرون: أن الجذع هو العود الأصلى للنخلة الذى يتفرع منه الجريد وهو ما بين العروق و الأغصان.(٢)

وقيل: الجذع من النخلة هو الأسفل، وما دون الرأس الذى عليه الثمرة، وقال قطرب: كل خشبة فى أصل شجرة فهى جذع.(٣)

وذلك أن النخلة مادامت قائمة على أصلها فإنما هى جذع وجريد وسقف، فإذا قطعت صارت جذعا.(٤)

كان جذعا يابسا من النخل ميتا، لا سعف عليه، ولا غصن له، وقد ألجأها الله إليه للتشبث به حين الولادة، ويحتمل للتقوية والاستناد إليها، ويحتمل للتستر بها، ممن يخشى منه القالة اذا رآها.(٥)

فالمرأة فى هذه الحالة لا تقوى على الحركة، ولابد لها من مساعد تتقوى به، من زوج أو قريبة، فإن لم يكن فمن جدار أو سرير، ولما كانت وحيدة أرشدها الله أن تتخذ من جذع النخلة سندا بعد الله تعالى فأسندت ظهرها إليها، (والتعريف فى النخلة التى جاءها المخاض عندها، إما للعهد إذ لم يكن لها غيرها، وكانت كالمتعالم عند الناس، وإما أن يكون التعريف للجنس.)(٦)

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ١٣٥/٥.

(٢) التحرير والتنوير ٨٥/٧.

(٣) تفسير الرازي ٢٠٦/١١.

(٤) الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة ١٣/٢.

(٥) تفسير الرازي ٢٠٣/١١، ٢٠٤.

(٦) ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ٨٩/٦ ، ٩٠ ، والجدول في إعراب القرآن ومصرفه وبيانه ٢٩١/٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كأن الله أرشدها إلى هذا الجذع من النخلة لما يجريه عليه من المعجزات فهو أداة لمعجزات أخرى يجريها الله تعالى لمريم عليها السلام، لهذا لم يذكر تعالى أنه ألجأها إلى جدار أو غيره .

والعبارة تشير إلى أمرين:

أولهما: يشير إليه الشيخ عبد الكريم الخطيب وهو، أن عيسى عليه السلام ولد ميلادا طبيعيا من رحم أمه كما يولد غيره من الناس، وكما تلد الأمهات أبناءهن، ولما أحست مريم بالمخاض لجأت إلى جذع النخلة، واستندت إليها حتى تجد القوة على دفع الحمل من رحمها.(١)

الثانى: الموافقة والتناسب بين حياة مريم عليها السلام وبين جذع النخلة، فجذع النخلة: أى شجرة مشهورة بين الناس، مهجورة منعزلة، لا يطمع فيها أحد، بالقياس إلى النخل المثمر الذى يتطلع إلى عطاءه الناس، وكذلك كانت مريم، فقد انعزلت وهجرت قومها، واشتهرت بينهم بالصلاح فلا يطمع فيها أحد بغير ذلك .

وهذا الصلاح والشهرة جعل مريم تتهيب مقابلة قومها حينما تحمل وليدها وتواجههم به ف " قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا....." (اليوم أو الحمل و الولادة ، تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة.)(٢)

ومن أسباب تمنيها الموت أيضاً صعوبة الحال، فهى فى محلة ليست مهيأة للوضع، فلا مأوى يسترها، ولا طعام أو شراب تتقوت به، ليس هناك سوى جذع نخلة ميت تتكئ عليه، كذلك ليس لها وللمولود منزل آخر تأتيه، وحتى لو كان فلا تستطيع أن تعيش وولدها طريدة، فلا مفر إذن من الرجوع، كل هذه الهموم أصابتها بالإحباط، حتى أصبحت تتمنى الموت،

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٨/٧٣١.

(٢) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٨/٣٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم يوجد فى التاريخ الإنسانى كله من أحب الموت وتمناه، اللهم إلا إذا ضاقت به الحياة، ورأى أن رصيده من مال أو شرف ينهار ، هنالك يكون الموت حلما ، وكذلك مريم الآن .

وهذا ما نهانا عنه النبى ﷺ حيث قال: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيا، فليقل: اللهم أحيينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى".(١)

وفى رواية عن سعد بن عبيد مولى عبد الرحمن بن أزهر أن رسول الله ﷺ قال : " لا يتمنى أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد ، وإما مسيئا فلعله يستعتب"(٢)

وعن خالد بن قيس قال: أتينا خباب بن الأرت نعوده، وقد اكتوى سبعا، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به.(٣)

وقيل: تمنت مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين:

أحدهما: أنها خافت أن يظن بها الشر فى دينها وتعير فيفتنها ذلك.

الثانى: لئلا يقع قوم بسببها فى البهتان والنسبة إلى الزنى، وذلك مهلك.

---

(١) البخاري كتاب المرض، باب تمني المريض الموت ١٢١/٧ حديث رقم ٥٦٧١، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهية تمني الموت لضر نزل به ٢٠٦٤/٤ حديث رقم ١٠.

(٢) البخاري كتاب التمني باب ما يكره من التمني ٨٤/٩ حديث ٧٢٣٥، واللفظ له، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به ٢٠٦٥/٤ حديث رقم ١٣.

(٣) البخاري كتاب التمني باب ما يكره من التمني ٨٤/٩ حديث ٧٢٣٤، وأحمد في المسند ٥٣٤/٣٤ حديث ٢١٠٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلى هذا الحد يكون تمنى الموت جائزا.[١]

قال ﷺ "يأتى على الناس زمان يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتنى مكانه".[٢]

وعلى هذا الحد أيضا تمناه أبو بكر وعمر وجماعة من الصالحين كانوا يقولون مثل ذلك عند اشتداد الأمر عليهم، فمما روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه نظر إلى طائر على شجرة فقال: طوبى لك يا طائر تقع على الشجرة، وتأكل من الثمر، وددت أنى ثمرة ينقرها الطائر.

وعن عمر أنه أخذ نبته من الأرض فقال: ياليتنى هذه النبتة ولم أك شيئا، وعن على أنه قال يوم الجمل: ياليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وعن بلال أنه قال: ليت بلال لم تلده أمه. [٣]

وقال القرطبى: وقد سمعت أن مريم عليها السلام سمعت نداء من يقول: اخرج يا من يُعبد من دون الله فحزنت لذلك.[٤]

والأحزان لا تحبب إلى المرء فكرة الموت فحسب، بل أحياناً تصل به إلى فكرة العدم ، يتمنى أن لم يكن له ذكر أو أثر ، وكلما زادت الضغوط، علت فكرة الفناء، وهكذا مريم لم تكتف بالموت منقذا، بل قالت " وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ....." (والنسى: بفتح النون وكسرها لغتان مثل الحِجْر والحَجْر، والوِتْر والوَتْر.)[٥]

---

(١) القرطبي ٥٢٥/٦.

(٢) مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ٢٢٣١/٤ حديث رقم ٥٣، ومالك كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز ٢٤١/١ حديث رقم٥٣.

(٣) تفسير الرازي ٢٠٤/١١.

(٤) القرطبي ٥٢٥/٦.

(٥) تفسير القرطبي ٥٢٥/٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو فى كلام العرب: الشئ الحقير الذى شأنه أن ينسى ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه، وحكى عن العرب أنهم إذا أرادوا الرحيل عن منزل قالوا: احفظوا أنساءكم جمع نِسى، وهو الشئ الحقير يغفل فينسى. (١)

وقيل: أن النسى ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها ، فقول مريم نسيا منسيا: أى حيضة ملقاة.(٢)

ولأن النسي هو الشيء التافه الذى ينسى فى ذاته ، لكن رغم تفاهته فربما يجد من يتذكره ويعرفه ، فأكدت النسي بقولها "منسيا" أى لا يذكره أحد ولا يفكر فيه أحد.(٣)

قال الماوردى: أى وكنت إذا ذكرت لم أطلب.

وذكر الماوردى أيضا أن من معانى النسى:

١- لم أخلق ولم أكن شيئا.

٢- لا أعرف ولا يدرى من أنا.(٤)

تمنت أن لو كانت مغمورة لا يعرفها أحد ، ولا يدرى بها إنسان ، إذ كانت مريم ملء السمع والبصر ، وأخبار قداستها وسجاياها فى كل مكان.

ومنسيا : (نعت على المبالغة، وأصله منسوى، اجتمعت الواو والياء، والأولى ساكنة فقلبت الواو ياء، وأدغمت مع الياء الأخرى.)(٥)

وفى قوله تعالى "نسيا" أكثر من قراءة ، قرأها محمد بن كعب

---

(١) عمدة الحفاظ ١٧٤/٤، وينظر التحرير والتنوير ٨٦/٧.

(٢) النكت ولعيون ٣٦٤/٣.

(٣) تفسير الشعراوي ٩٠٦٥/١٥.

(٤) النكت والعيون ٣٦٤/٣.

الفرظى "نسأ" بكسر النون، والهمز مكان الياء.

- وقرأ حفص و حمزة بفتح النون "نَسيا".

- وقرأ بن كثير و أبو عمرو بكسر النون "نِسيا".

- وقرأ بكر بن حبيب السهمى ومحمد بن كعب "نسأ" بفتح النون والهمزة وهو مصدر من نسأت اللبن، إذا صببت عليه ماء، فاستهلك اللبن فيه لقلته، فكأنها تمنت أن تكون مثل ذلك اللبن الذى لا يرى، ولا يتميز من الماء .

وقال ابن عطية : وقرأ بكر بن حبيب "نسا" بفتح النون والسين من غير همز.(١)

كذلك قوله "مت" قرئت بكسر الميم وضمها، يقال: مات يمات، كخاف يخاف، ومات يموت كقال يقول.(٢)

وهما لغتان فى هذه الكلمة ، ولعل وجههما ها هنا هو بيان أنها تمنت الموت سواء ميتة سهلة كما تدل عليه قراءة كسر الميم ، وذلك لما تفيده الكسرة من خفة، أو ميتة شاقة ، كما تدل عليه قراءة الضم ، وذلك لما تدل عليه حركة الضم ، فهما متكاملتان. (٣)

الإعـــراب

فَحَمَلَتْهُ الفاء: عاطفة على مقدر تقديره فنفخ جبريل فى جيب درعها فحملته .

حملت : فعل ماض مبنى على الفتح، التاء : تاء التأنيث. الهاء: ضمير

---

(١) ينظر البحر المحيط ٢٥٢/٧، وروح المعاني ١١٩/٩، والحجة للقراء السبعة ١١٨/٣

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه ٨٢/٦.

(٣) الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة ٩/٢.

مبنى على الضم فى محل نصب مفعول به. والفاعل ضمير مستتر تقديره هى.

فَانتَبَذَتْ الفاء: حرف عطف، انتبذت: فعل ماض مبنى على الفتح، التاء: تاء للتأنيث، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هى .

بِهِ الباء : حرف جر ، الهاء : ضمير مبنى على الكسر فى محل جر ، والجار والمجرور فى محل نصب حال من فاعل " انتبذت " أى انتبذت وهو معها فى بطنها.

مَكَاناً مفعول به منصوب بالفتحة .

قَصِياً صفة منصوبة بالفتحة ل " مكانا "

فَأَجَاءَهَا الفاء: حرف عطف ، أجاء : فعل ماض مبنى على الفتح ، ها: ضمير مبنى على السكون فى محل نصب مفعول به .

المَخَاضُ فاعل " أجاء " مؤخر مرفوع بالضمة.

إِلَى حرف جر

جِذْعِ اسم مجرور بالكسرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من " المخاض " ، وجذع مضاف

النَّخْلَةِ مضاف إليه مجرور بالكسرة

قَالَتْ فعل ماض مبنى على الفتح ، التاء: للتأنيث ، الفاعل: ضمير مستتر تقديره هى .

يَا حرف نداء ، والمنادى محذوف.

لَيْتَنِي ليت : حرف تمنى ونصب ، النون : للوقاية ، الياء : ضمير المتكلم مبنى على السكون فى محل نصب اسم ليت.

مِتُّ فعل ماض مبنى على السكون ، التاء : ضمير مبنى على الضم فى محل رفع فاعل ، والجملة فى محل رفع خبر ليت .

قَبْلَ ظرف زمان منصوب بالفتحة، وهو مضاف.

مِنْ: اسم إشارة مبنى على السكون فى محل جر مضاف إليه.

وَكُنْتُ: الواو: حرف عطف ، كنت : فعل ماض ناسخ مبنى على السكون ، التاء: ضمير مبنى على الضم فى محل رفع اسم كان.

نَسْياً: خبر كان منصوب بالفتحة .

مَنْسِيّاً: تأكيد لنسيا لأنه بمعناه ، فهو خبر ثان لكان ، ولك أن تعربه صفة له منصوب بالفتحة.

كرامات الميلاد :

قال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾.

الآن قد حانت اللحظة التي كانت تخشاها مريم، فما كان كلاماً صار واقعاً، وما هي فيه من حيرة وتمن للموت لا يقدم ولا يؤخر، هي في حاجة الآن إلى علاج سريع، تحتاج إلى مقومات روحية تشرح صدرها، وتوسعه بعد الضيق والحزن، وأخرى بدنية تمنحها القدرة على الحركة ومقاومة أي انتكاسة، وكانت رحمة الله واسعة.

((فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا.....))

(أنطق الله عيسى حين وضعته تطيباً لقلبها، وإزالة للوحشة عنها، حتى تشاهد في أول الأمر ما بشرها به جبريل من علو شأن ذلك المولود.)[1] وهذه أول المؤيدات، لأن النطق عملية بيولوجية معقدة، لكي تتم تحتاج إلى وقت كاف تتقوى فيه أجهزة النطق بالإضافة إلى نمو الفكر (فالنطق لا يتم على مستوى الفم واللسان والأسنان والحنجرة فحسب

---

(١) السراج المنير ١٠٧/٤.

بل بالقدرة على اختيار الحرف ووضعه إلى جانب آخر لتكوين الكلمة، ثم اختيار الكلمة ووضعها إلى جانب أخرى لتكوين الجملة، وتكوين التراكيب المختلفة من الجمل بعد ذلك، وهذ العملية تتم على مستوى الفكر.)[١]

ويفهم من قوله ﴿فَنَادَاهَا﴾ أن صوته كان جهوريا واضحاً، ليس ضعيفاً خافتاً إذ من شروط النداء الجهر.

وربما جاء التعبير بقوله ﴿فَنَادَاهَا﴾ مع أنه قريب منها (لأن المرأة حين الولادة تتوجع بآلام شديدة، وقد تئن وتصرخ ونفسها منصرفة إلى ماهي فيه من آلام الوضع، فلا تسمع أذناها في الغالب الكلام ما لم يكن نداء)[٢]

وطفل مثل عيسى في أيامه الأولى لا يمكنه النطق بحال من الأحوال إلا بإرادة إلهية، وهذا في فكر مريم ما سيتدارجه بنو إسرائيل ويلمون بأبعاده.

وذكر بعض المفسرين: أن الذي ناداها هو جبريل عليه السلام ومعنى كونه "من تحتها" أنه في مكان أسفل منها، ويدل على ذلك قراءة ابن عباس "فناداها ملك من تحتها" [٣]

ومعني كونه أسفل منها: إما أن يكون معا في مكان مستو، وهناك مبدأ معين، كتلك النخلة، ههنا، فكل من كان أقرب كان فوق، وكل من كان أبعد كان تحت، وعلى هذا الوجه قال بعضهم: أنه ناداها من تحت النخلة وإما: أن يكون موضع أحدهما أعلى من موضع الآخر، فيكون صاحب العلو فوق وصاحب السفل تحت، وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة: أن

---

(١) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ص٢٨١، ٢٨٢

(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر ٤٥١/٧

(٣) روح المعاني ١٢٠/٩

مريم كانت على أكمة[١] عالية، وناداها جبريل من مكان أسفل منها تحت الأكمة.[٢]

قال أبو حيان: كان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها.[٣]

قال الإمام الألوسى: وإنما كان ذلك إجلالا لها، وتحاشيا من حضوره بين يديها في تلك الحال. وعلى هذا فالضمير "في تحتها" لمريم على القول الأول، وللنخلة على القول الثاني.[٤]

وفي الحرف من في قوله "من تحتها" قراء تان

الأولى: بكسر الميم على أن "مِن" حرف جر، وجر "تحتها" على الجار والمجرور.

والثانية:- بفتح الميم، على أنها اسم موصول و نصب "تحتها" على أنه ظرف صلة لمن.

قال ابن الجوزي: فمن قرأ بكسر الميم ففيه وجهان:

أحدهما: ناداها الملك من تحت النخلة، وقيل: كانت على نشز فناداها الملك أسفل منها.

والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها، قال ابن عباس: كل ما رفعت إليه طرفك فهو فوقك، وكل ما خفضت إليه طرفك فهو تحتك.

ومن قرأ بفتح الميم ففيه الوجهان المذكوران، وكان الفراء يقول: ما

---

(١) الأكمة أي: التل، المعجم الوجيز ص ٢٢

(٢) ينظر مفاتيح الغيب ٢٠٥/١١ ، ٢٠٦، واللباب في علوم الكتاب ٤٢/١٣

(٣) البحر المحيط ٢٥٣/٧

(٤) روح المعاني ١٢٠/٩

خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً.(١)

وقد اختار ابن جرير الطبري في تفسيره، أن الذي ناداها هو عيسى عليه السلام(٢)، واستظهر ذلك أيضاً أبو حيان في البحر(٣) وهذا أقرب الوجوه لأسباب هي:

١- أن ذلك الموضع موضع اللوث، والنظر إلى العورة، وذلك لا يليق بالملائكة.

٢- أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل لأن الله قال "فحملته" يعني عيسى "فانتبذت به" أي بعيسى ثم قال بعده "فناداها" فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى.

٣- أنها لما جاءت به قومها تحمله وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه، كما قال تعالى عنها ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته، وبهذه القرينة استدل سعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه على أنه عيسى عليه السلام(٤) كما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما أن عيسى عليه السلام لولم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق، ولما كانت تشير إلى عيسى بالكلام.(٥)

كلمها ولدها ليس بأي كلام، لكنه كلام محمود قال:

---

(١)زاد المسير لابن الجوزي ٢/٢٥

(٢)تفسير الطبري ١٥/٥٠٥

(٣)البحر المحيط ٧/٢٥٣

(٤)الدرر الباهرة في توحيد القراءات العشر المتواترة ٢/١٠-١٢

(٥) مفاتيح الغيب ١١/٢٠٥

﴿أَلاَّ تَحْزَنِي ....﴾ والحزن (هو غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار) [١] أو هو: خشونة في النفس لما يلحقها من الغم، وقوله: "ألا تحزني" ليس بنهي عن تحصيل الحزن، لأن ذلك لا يدخل على الإنسان باختياره، إنما المراد عن تعاطي أسبابه.[٢]

حكى الطبري:

أن عيسى عليه السلام قال لها لا تحزني، فقالت له: كيف لا أحزن، وأنت معي؟ لا ذات زوج، ولا مملوكه، أي شيء عذري عند الناس "يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا" فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام.[٣]

فخلي عن فكرك كل هذه الهموم ولا تغتمي، فعناية الله معك تصحبك في كل حال، ومن مظاهر هذه الرعاية المزيلة للحزن

١- أن ربك المدبر لشئونك، والمحسن لك في السابق واللاحق، جعل تحتك سريا.

والسري له معنيان أحدهما: (أنه الرجل المرتفع القدر، العظيم الخصال، الكريم الفعال، من سَرُو يسرو، كـ شرف يشرف فهو سري، فأعل إعلال سيد فلامه واو، ويجمع سري على سراة بفتح السين وسُرواء كظرفاء، يقال: فلان من سروات قومه أي من أشرافهم، وهما جمعان شاذان، بل قياس جمعه أسرياء كغني وأغنياء قال الحسن وابن زيد: السرى هو عيسى عليه السلام

الثاني :- أنه الجدول الجاري من الماء، والنهر الصغير، ويناسبه "

---

(١) حدائق الروح والريحان ١١٠/١٧

(٢) عمدة الحفاظ ٣٩٩/١، ٤٠٠

(٣) تفسير الطبري ٥٠٥/١٥، ٥٠٦

فَكُلِي وَاشْرَبِي" واشتقاقه من سرى يسري، لأن الماء يسري فيه، فلامه على هذا ياء[١]). قال الماوردي: أن اسم السري يطلق على ما يعبره الناس من الأنهار وثبا.[٢]

روي عن قتادة وغيره أن الحسن تلا هذه الآية وإلى جنبه حميد بن عبد الرحمن الحميري "قد جعل ربك تحتك سريا" فقال: وإن كان لسريا، وإن كان لكريما، فقال له حميد يا أبا سعيد: إنما هو الجدول، فقال له الحسن من ثم تعجبنا مجا لستك، وقد قال الحسن من قبل: أن السري: هو عيسى، فبهذه الرواية رجع عن قوله.

واحتج من قال: هو النهر بما روي عن البراء بن عازب في قوله عز وجل: "قد جعل ربك تحتك سريا" قال: هو الجدول النهر الصغير[٣] بأن النبي ﷺ سئل عن السَّرى فقال عليه الصلاة والسلام هو الجدول، وبقوله سبحانه وتعالى: "فكلي واشربي" فدل على أنه النهر حتى ينضاف الماء إلى الرطب، فتأكل وتشرب.

أما من قال بأنه عيسى فاحتج بأن النهر لا يكون تحتها بل إلى جنبها ولا يجوز أن يجاب عنه، بأن المراد أنه جعل النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها، لقوله تعالى: "وهذه الأنهار تجري من تحتي" لأن هذا حمل للفظ على مجازه ولو حملناه على عيسى لم يحتج إلى هذا المجاز.[٤]

وعلى القول بأن السري هو النهر عامة المفسرين

قال الرازي: انفق المفسرون إلا الحسن وعبد الرحمن بن زيد أن

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٥٢٦/٦ واللباب في علوم الكتاب ٤٤/١٣

(٢) النكت والعيون ٣٦٦/٣

(٣) الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير باب تفسير سورة مريم ٤٠٥/٢ حديث رقم ٣٤١٣، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) تفسير الرازي ٢٠٦/١١

ري هو النهر والجدول.[١]

وعلى هذا القول أيضاً، قال ابن عباس: أن جبريل عليه السلام ضرب جله الأرض فظهر ماء عذب، وقيل: عيسى فظهرت عين ماء، وقيل: ان هناك نهر يابس، أجرى الله فيه الماء كرامة لمريم عليها السلام.[٢]

٢- وزيادة في التثبيت أمرها تعالى بملامسة كرم ربها، وتدبيره شئونها فقال:

وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ.....)).

وَهُزِّي.....)) حركي بشيء من القوة[٣]

إِلَيْكِ.....)) إلى جهتك

بِجِذْعِ النَّخْلَةِ.....)) الميت التي استندت عليها حين الولادة، انظري كيف هو الآن، فقد أحياه الله تعالى، وجعله نخلة خضراء مثمرة بأطيب الثمرات.

قال مقاتل:- فاخضرت وهي تنظر، ثم حملت وهي تنظر، ثم نضجت وهي تنظر.[٤]

وما عليك لتأكلي منها إلا أن تحركي الجذع بيديك، وليست حركة مريم وهي امرأة ضعيفة وزاد من ضعفها مشقة الولادة، لم تكن هذه الحركة لتهز الجذع، فالجذع ولو يابسا لا يستطيع هزه الرجل القوي.

يقول الدكتور شوقي إبراهيم:

وجذع النخلة هو أقوى أجزاء النخلة، وهو محور ارتكازها، ومنطقة

---

(١) السابق ٢٠٦/١١

(٢) تفسير الخازن ٢٤٣/٣

(٣) المعجم الوجيز ص ٦٤٩

(٤) النكت والعيون ٣٦٧/٣

CAMERA
not on realme C11 2021

اتصال النخلة بالأرض، لذلك فإنه من العسير جداً هز جذع النخلة، الممكن هز الساق من أعلاه أما هز الجذع فلا. ومن هنا الإعجاز إذ اهتز الجذع لما وضعت مريم يدها الرقيقة عليه، وقد يقال: إن المقصود من الجذع المذكور في الآية هو الساق، والرد على ذلك بالنفي، لأن جذع النخلة يصل طوله من متر إلى متر ونصف، ولا تستطيع يد مريم أن تصل إلى ساق النخلة لأنه أعلى من قامتها، فكلمة جذع في الآية لابد أن يفسر على ظاهر اللفظ والمعجزة ظاهرة، لأنه لا يمكن هز الجذع وإذا هز تقلع النخلة من جذورها، ولا يهتز الجذع، إلا أن الله تعالى جعل الجذع يهتز، ويهتز الساق معه.(١)

وهو آية تراها بعينها لتقويها على مواجهة قومها بعد ذلك.

قال القرطبي: وكانت الآية تكون بألا تهز، وقد كانت من قبل يأتيها رزقها من غير تكسب.(٢)

لكن هاهي العبرة نأخذها في كل حال من أحوال مريم، نتفكر في القدرة الإلهية وخرق السنن الكونية من خلق عيسى، ومن الأمر بهذه النخلة نوقن بضرورة السعي والتعلق بالأسباب حتى في أشد اللحظات وأصعبها، (وما أحسن ما قيل:

"ألم تـــر أن الله أوحـــى لمـــريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أحنى الجذع من غير هزه ... إليها ولكن كل شـــيء له سبـــب"(٣)

"تُسَاقِطْ....." (أي تسقط النخلة

"عليك....." إسقاطا متواترا بحسب تواتر الهز.)(١)

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي٥/٢٦

(٢) تفسير القرطبي ٦/٥٢٨

(٣) البيتين ذكرهما الألوسي في تفسيره ولم ينسبهما إلى قائله روح المعاني ٩/١٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي هذا اللفظ تسع قراءات

١- تُساقِطْ، أي تتساقط فأدغم التاء في السين.

٢- وقرأ حمزة "تَسَاقَطْ" مخففا فحذف التي أدغمها غيره.

٣- وقرأ عاصم في رواية حفص "تُسَاقِطْ" بضم التاء مخففا، وكسر القاف

٤- وقرئ "تَتَسَاقَطْ" بإظهار التاءين.

٥- "يَسَّاقَطْ" بالياء وإدغام التاء.

٦- "تُسقِط"

٧- "يُسقِط"

٨- "يَسقط" بفتح الياء

٩- "تَسقط" بفتح التاء، فمن قرأ بالياء أسند الفعل إلى الجذع، ومن قرأ بالتاء أسنده إلى النخلة.(٢)

((رُطَباً.....)) الرطب: بضم ففتح ما نضج من البسر قبل أن يصير تمرا.(٣) وإنما أعطيت رطبا دون التمر لأن الرطب أشهى للنفس إذ هو كالفاكهة وأما التمر فغذاء(٤)

((جَنِياً.....)) الجنى: ما جنى لساعته من كل ثمر، وهو أجود ما يكون الثمر، إذ كلما مر عليه الوقت تناقصت فيه عناصر من منافعه.(٥) وقيل: ما طاب وصلح للإجتناء، ويروى عن ابن مسعود أنه قرأ "تساقط عليك رطبا جنيا بَرْنِيًا" والبرني: ضرب من التمر أصفر مدور، وهو أجود

---

(١) حدائق الروح والريحان ١١١/١٧

(٢) ينظر الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ٨١٦/٢، ٨١٧، والحجة للقراء السبعة ١١٩/٣، ١٢٠

(٣) المعجم الوجيز ص ٢٦٧

(٤) التحرير والتنوير ٨٧/٧

(٥) معارج التفكر ودقائق التدبر ٤٥٢/٧

التمر، واحدته برنية.

وقال مجاهد: "رطبا جنيا" قال: كانت عجوة.

وقال عباس ابن الفضل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله "رطبا جنيا" فقال : لم يزو أي لم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدى مجتنيه، وقيل: الجني: المقطوع من نخلة واحدة، والمأخوذ من مكان نشأته.(١)

والناظر في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ يلحظ إشارتين

أحدهما:- الإشارة إلى عالم النبات.

فالآية تبين أن الله تعالى وفر لمريم غذاءها من النبات، على عكس المتعارف عند الوالدات، من تحضير وجبات من الطير، وقد كان من الممكن أن يوفر الله تعالى لها طيرا كما وفره لبني إسرائيل، إذ رزقهم السلوى، أو تأتيها مائدة من السماء كما حدث لابنها من بعد، ولعل ذلك يرجع إلى أمرين

١-تشابه تكوين المسيح بتكوين النبات.

(فالنبات يختلف في تكوينه عن الإنسان والحيوان، حيث لا يحتاج في قيامه على شيء، فهو يصنع غذاءه بنفسه داخل خلاياه من مواد أولية بسيطة متوفرة، فيأخذ من التربة المعادن والماء، ويأخذ من الجو ثاني أكسيد الكربون، وعن طريق ضوء الشمس تحدث عملية البناء الضوئي، التي بها يطلق غاز الأكسجين إلى جو الأرض، فالنبات هو المصدر الوحيد لإنتاج غاز الأكسجين في الهواء، وهو الغاز الذي بواسطته تتنفس الأحياء جميعاً.)(٢)

---

(١) تفسير القرطبي ٥٢٧/٦

(٢) معجزات الله في الخلق ص١٦١ بتصرف .

أما الحيوان فيتغذى على النبات، أو على اللحم الذي تغذى على
نبات والإنسان مستهلك للنبات والحيوان، وكل من النبات والحيوان
والإنسان بعد الموت يتحلل بواسطة كائنات حية أخرى في مقدمتها البكتريا
لتشكل دورة كاملة تعرف بالسلسلة الغذائية تبدأ بالنبات وتنتهي بالموت،
لتعمل الكائنات المحللة على إعادة الأمور إلى أصلها، فيعود التراب إلى
التراب، والماء بخارا إلى الماء، وسائر الغازات الأخرى.(١)

فالنبات أساس كل دائرة غذائية، لذلك خلقت النباتات أولا، و كانت
أول الكائنات ظهورا على الأرض، ثم أعقبها خلق الحيوان وأخيراً الإنسان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال:
خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق
الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء،
وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم
الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة."(٢)

وأخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس

---

(١) علم النبات في القرآن ص ٤٢١

(٢) مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، ٢١٤٩/٤ ، حديث رقم ٢٧، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير، باب قوله تعالى ((إن في خلق السموات والأرض)) ٢٠/١٠ حديث رقم ١٠٩٤٣ وهذا الحديث وإن كان على شرط مسلم إلا أن غير واحد من الحفاظ أعلوه، وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وليس من قول النبي ﷺ، قال البخاري في تاريخه ٤١٣/١، ٤١٤ ، قال: قال بعضهم عن أبي هريرة عن كعب الأحبار وهو أصح، قال ابن كثير في تفسيره ١٢٣/١، هذا الحديث من غرائب مسلم وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري، وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا، لأن الخلق تم في ستة أيام ، أما الرواية المذكورة فتفيد أنه استغرق سبعة أيام وهذا مخالف لما جاء به القرآن .

د/مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط٥، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٨٥- معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي، د/حسان شميسى باشا، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٨٦- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش، دار الرشيد دمشق بيروت ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

٨٧- مفاتيح التفسير ، د/ أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية الرياض، دار ابن حزم ،ط١، ٢٠١٠م.

٨٨- النحل معجزة المعجزات د/هاني عبد الحميد عبد السميع، مكتبة المعارف الحديثة،ط ٢٠٠٧م.

٨٩- نخلة التمر ماضيها وحاضرها د/عبد الجبار البكر، الدار العربية للموسوعات ط٢، ١٤٢٢هـ.

٩٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج أحاديثه وآياته ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت ط٣، ٢٠٠٦، ١٤٢٧هـ.

٩١- النكت والعيون تفسير الماوردي لأبي الحسن بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٩٩٤م.
٧٣- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٧٤- مسند أبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، تحقيق د/ محمد عبد المحسن التركي، دار هجر مصر، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م
٧٥- مسند الشهاب لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
٧٦- المصباح المنير للفيومي المقري، المطبعة الأميرية.
٧٧- المسند لأبي سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل الشاشي تحقيق د/محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة دار العلوم والحكم، المدينة ط١، ١٤١٠هـ.
٧٨- المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد، الشيخ كامل محمد الجزار، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧ و ٢٠٠٦م.
٧٩- موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي د/أحمد شوقي إبراهيم، نهضة مصر ط٤، ٢٠٠٦م.
٨٠- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، المطابع الأميرية ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٨١- المعجم الإسلامي، زيدان عبد الفتاح قعدان دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ط١، ٢٠١٢م.
٨٢- معجزات الله في الخلق، حامد الجوهري، مؤسسة دار التعاون، القاهرة.
٨٣- موسوعة تربية النحل، أحمد أبو شاور دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن - عمان ط ٢٠٠٣م.
٨٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٦٢- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الثالثة.
٦٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل بيروت.
٦٤- المرض والشفاء في القرآن الكريم، د/ أحمد حسين علي سالم، دار المعالي، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٦٥- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٦٦- معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٦٧- المعجم الوسيط، قام بإخراج هذه الطبعة د/ إبراهيم أنيس، د/ عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، دار الفكر.
٦٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٦٩- المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرناؤط، وعادل مرشد وآخرون، إشراف د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م
٧٠- مسند إسحاق بن راهويه لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، المعروف بابن راهويه، تحقيق د/ عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م
٧١- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير أبي القاسم الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.
٧٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي القاهرة ١٤١٤هـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥١- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥.
٥٢- شرح مشكل الآثار لأبي جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٥٣- شعب الإيمان لأحمد بن حسين أبي بكر البيهقي تحقيق ومراجعة، د/عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه مختار أحمد الندوى، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي الهند، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٥٤- صحيح بن خزيمة لأبي بكر بن محمد بن إسحاق النيسابورى، تحقيق د/محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت.
٥٥- علم النبات في القرآن الكريم، د/ السيد عبد الستار المليجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥م.
٥٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦.
٥٧- قصص الأنبياء والتاريخ د/ رشدي البدراوي طبعة ١٩٩٦م.
٥٨- قيثارة القصص القرآني، على الشرقاوي، مكتبة الإيمان المنصورة، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧.
٥٩- القاموس المحيط للفيروز أبادي، دار الجيل بيروت.
٦٠- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها لنصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوى النحوي المعروف بابن أبي مريم، تحقيق الشيخ عبد الرحمن إبراهيم بدر، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٦١- اللباب في علوم الكتاب للإمام المفسر أبي حفص عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي تحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دار طوق النجاة بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٣٩- الحشرات في القرآن الكريم والسنة المطهرة، د/رمضان مصري هلال، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٠م.
٤٠- حياة الحيوان الكبرى، للشيخ كمال الدين الدميري دار الفكر بيروت لبنان.
٤١- الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، د/هشام عبد الجواد الزهيري، الدار العالمية للنشر والتوزيع ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
٤٢- دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث د/محمد عز الدين توفيق، دار السلام ط٢، ٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٤٣- ديوان شوقي توثيق وتبويب وشرح وتعقيب د/ أحمد محمد الحوفي، نهضة مصر.
٤٤- زاد المسير للإمام ابن الجوزي، دار الفكر.
٤٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام الألوسي، دار الفكر بيروت ١٤١٧هـ ١٩٩٧.
٤٦- الروض الريان في أسئلة القرآن للشيخ شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان تحقيق عبد الحليم محمد نصار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٤٧- السراج المنير للشيخ الخطيب الشربيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٤٨- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي الخرساني أبي بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ.
٤٩- السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة بيروت ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٥٠- السنن الصغرى للنسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التفسير وعلوم القرآن، بإشراف د/مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
٢٦- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
٢٧- تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي.
٢٨- التلوث الضوضائي وإعاقة التنمية، د/حسن أحمد شحاته، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٢٩- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، دار الصابوني ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م.
٣٠- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام عربي القاسم جار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية في بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٣١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجمع البحوث الإسلامية، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط٣، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٣٢- تاريخ المذاهب الإسلامية د/ محمد أبو زهرة ط دار الفكر.
٣٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د/ عبد الله عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٣٤- الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، دار القلم للتراث، القاهرة.
٣٥- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد بيروت، ومؤسسة الإيمان بيروت.
٣٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٧- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٣٨- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الأرمي العلوي، إشراف ومراجعة د/هاشم محمد علي حسين مهدي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ط ٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
١٣- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي دار الفكر بيروت - لبنان ط١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
١٤- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، المكتبة العلمية بيروت لبنان، تحقيق/ محمد على النجار.
١٥- بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلى، مكتبة دنديس، الأردن ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
١٦- البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، محمد عبد القادر الفقي، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.
١٧- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
١٨- تربية النحل والملكات وإنتاج العسل، م/محمد محمد كذلك، مكتبة القرآن، القاهرة ط ٢٠٠٢م.
١٩- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل للإمام محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٢٠- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، الشيخ محمد علي طه الدرة، دار الحكمة دمشق بيروت.
٢١- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين عي بن محمد ابراهيم البغدادي، دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٢٢- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي المشتهر بخطيب الرى، دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٢٣- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ اسماعيل بن كثير القرشي، مكتبة التراث الإسلامي، حلب ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
٢٤- تفسير القرآن الكريم د/عبدالله شحاته، دار غريب القاهرة.
٢٥- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجع

١- القرآن الكريم

٢- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٣- الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د/زغلول النجار، نهضة مصر، ط١، ٢٠٠٧م

٤- الإعجاز العلمي في الإسلام "السنة النبوية" محمد كامل عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية، ط٦، ٢٠٠٤م.

٥- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، نايف منير فارس، مكتبة ابن كثير، الكويت دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١١م.

٦- ألفية التفسير، حسين علي دحلي، دار طيبة، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢ م.

٧- إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم د/محمد محمود القاضي، إشراف ومراجعة، د/كمال محمد بشر، د/عبد الغفار حامد هلال، الصحوة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٨- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير بيروت، اليمامة بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٩- الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق حسين فضل الله، د/عادل العوا، عبد الواحد علواني، عدنان السبيعي، فرانسوا أبومخ، محمد عدنان سالم، د/هاني رزق، د/وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق سوريا دار الفكر المعاصر بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٠- الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشرع السماء، د/كارم السيد غنيم، دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

١١- أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات، د/سيف بن راشد الجابري، ط٢، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٢-اعتلال القلوب لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي، تحقيق حمدي الدمرداش، الناشر نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما كان إلا أن أشـارت إصـبعُ ... منها إلى عيسى المطهر تـأمرُ

كيف الكلام مع الوليد؟ وعهـدُنا ... أن الوليـد بطبعـه لا يقـدر

نطق الرضيع وما أشدَّ ذهـولَهم ... أنا عبدُه أوحى، إليَّ تـذكَّرُوا

أنا كلِمةُ الربِّ الذي ألقـى بهـا ... في التَّوِّ كنت بقـدرة أتصَـوَّرُ

خلق الإلهُ مـن البريئـة عبـدَه ... وكذاك يخلق ما يشاءُ ويقـدرُ

إنجيلَه أعطـى وفيـه صـلاتُه ... وزكاتُه قربـي لنـا نتطهـرُ

ومباركُ أتَّـى أكـون بأرضـه ... ورسـولُه ومبشـرُ ومُحـذِّرُ

أوصـى بأن أُوطِـي جنـاحي دائماً ... وأكون بَرًّا بـالبتول واشـكرُ

منه السلامُ على يـوم ولادتـي ... وعليَّ يوم أموتُ لما أُحْشَـرُ[1]

---

(١) قيثارة القصص القرآني، لعلي الشرقاوي، ص ٩٢-٩٤

وتلك هي الأفراد أربعة أتت ... فآدم فردُ خلْقه كان نادرا
وحواء كانت دونه فهي من أب ... على العكس هذاك المسيح فهل ترى
سواهم من الأصلين لا زالت نابهاً ... ألستَ ترى رب البرية قادرا (١)

وقال آخر:

بينا وهيبة ربها تتبتلُ ... إذ بالملاك ببابها يتمثلُ
بشرا سويا با لَحُسْنِ نضارة ... والثوبُ ضافٍ ووجهه يتهللُ
ظنت به شرا لأول وهلة ... فتعوذت بالله كيما يرحل
لا تفزعي إني رسول إلهنا ... وبأمره تلدين طفلاً يُذْهِلُ
يا ويلتا إني المطهرة التي ... ما مسني بشر وما أنا حامل
لستُ البغيَّ وليس أمري كلُّه ... إلا عبادتَه عساها تُقْبَلُ
لا تعجبي فالله يخلق ما يشا ... ءُ بدون أسبابٍ كذلك يفعل
هي نفخةُ في كمها أو جيبها ... فتكَوَّنَ المخلوق وهو يُهَلِّلُ
هيا اخرجي إن المخاض لقادم ... عيسى المكرمُ بالرسالة يُكْمِلُ
جاء المخاضُ وقد عرَتها شدةُ ... فتمنت الموت الزُؤَامُ وترحلُ
فأجابها مِن تحتها لا تحزني ... وتجلَّدِي بالقرب منك الجدولُ
هُزِّي إليك الجذع يُسقِط رُطْبَهُ ... هذا طعامك والشرابُ مُذللُ
إن شك إنسان فلا تتحدثي ... وذري وليَدك فالوليدُ يجادلُ
وأتت به من فورها مرت بهم ... بُهِتُوا وقالوا أيُّ هذا المنكرُ
يا أخت هارون نبَتْ بمنْبَتٍ ... يعلو على إثم وكنا نفخر
ماذا دهاك؟ وأين طهرك؟ والذي ... فوق الأكف جريمةُ لا تغفرا!

---

(١) ألفية التفسير، لحسين دحلي، ص ٣٩

حرف جر، الياء: ضمير مبني على الفتح في محل جر والجار والمجرور في محل رفع خبر المبتدأ.

ظرف زمان منصوب بالفتحة.

فعل ماض مبني للمفعول مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، التاء: ضمير مبني على الضم في محل رفع نائب فاعل والجملة الفعلية في محل جر بإضافة يوم إليها، والمعنى: يوم ولادتي.

الواو: حرف عطف، يوم: معطوف على "يوم" الأولى منصوب بالفتحة.

فعل مضارع مرفوع بالضمة، الفاعل: ضمير مستتر تقديره أنا، والجملة في محل جر مضاف إليه.

الواو: حرف عطف، يوم: معطوف على "يوم" الأولى منصوب بالفتحة.

فعل مضارع مبني للمفعول مرفوع بالضمة، ونائب الفاعل: ضمير مستتر تقديره أنا، والجملة في محل جر مضاف إليه.

حال منصوب بالفتحة.

خلاصة الآيات شعرا.

ومريم راحت يمّمت شرق أهلها ... لها مقصدُ كالغسل أو كان آخرا

ولما رأت أن المروأة تقتضي ... حجاباً وستراً أرسلت ثمَّ ساترا

أتاها أمين الوحي بعد اغتسالها ... له طلعة البدر المنير فنوّرا

فقالت معاذ الله دعني وخلوتي ... خَفِ الله يا هذا فدمعي تحدَّرا

فقال قضاء الله لا بد نافذ ... وأعلمها شيئا خفيًا مقدرا

فجاءت بعيسى بالنبوة قد زكا ... فربي قديرٌ يا لك الله فانظُرا

قضى الله أمرا لا مردَّ لحُكمه ... فقد خلق الإنسان شتَّى وقدرا

وَأَوْصَانِي الواو: حرف عطف، أوصاني: فعل ماض مبني على الفتح المقدر، النون: للوقاية، الياء: ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

بِالصَّلَاةِ الباء: حرف جر، الصلاة: اسم مجرور بالكسرة.

وَالزَّكَاةِ الواو: حرف عطف، الزكاة: معطوف بالواو على الصلاة مجرور بالكسرة.

مَا مصدرية ظرفية زمانية.

دُمْتُ فعل ماض ناقص مبني على السكون، التاء: ضمير مبني على الضم في محل رفع اسم "دام"

حَيًّا خبر "دام" منصوب بالفتحة، وما وما بعدها من الفعل واسمه وخبره في تأويل مصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل أوصاني، وتقدير الكلام: مدة دوامي حيا.

وَبَرًّا الواو: حرف عطف، برا: مفعول به ثان منصوب بالفتحة لفعل محذوف تقديره "وجعلني بارا"

بِوَالِدَتِي الباء: حرف جر، والدتي: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، الياء: ضمير مبني على السكون في محل جر مضاف إليه.

وَلَمْ الواو: حرف عطف، لم: حرف نفي وجزم.

يَجْعَلْنِي فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون، النون: للوقاية، الياء: ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو أي الله.

جَبَّارًا مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

شَقِيًّا صفة ل "جبارا" منصوبة بالفتحة.

وَالسَّلَامُ الواو: حرف عطف، السلام: مبتدأ مرفوع بالضمة.

الإعراب

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ

فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

إن: حرف توكيد ونصب، الياء: ضمير مبني على السكون في محل نصب اسم إن.

خبر إن مرفوع بالضمة، وهي مضاف.

لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة.

فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف للتعذر، النون: للوقاية، الياء: ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول. والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

الواو: حرف عطف، جعل: فعل ماض مبني على الفتح، النون: للوقاية، الياء: ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول، الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

الواو: حرف عطف، جعل: فعل ماض مبني على الفتح، النون: للوقاية، الياء: ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول، الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

مفعول به ثان منصوب بالفتحة.

اسم شرط جازم مبني على الفتح في محل نصب ظرف مكان.

زائدة حرف مبني على السكون.

فعل ماض تام مبني على السكون فعل الشرط، في محل جزم بأين، والتاء: ضمير مبني على الضم في محل رفع فاعل، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قوله: "وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وِلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" اثبات أنه مخلوق، والإله ليس خلقا وإنما متعال عليه، إذ لا يمكن للإله أن يولد ويعيش، ويشيخ ويموت مثل سائر الخلق، وقد لان له القوم (فعن ابن زيد وغيره، أنهم لما سمعوا كلام عيسى أذعنوا وقالوا: إن هذا لأمر عظيم، وقد أجمعت الفرق على أن مريم لم تحد، وإنما صح براءتها من الزنى بكلامه) (١)

وصحيح أن قضية التوحيد هي أول وأهم قضية نبه عليها عيسى لكن أيضاً قد بعثت كلماته برسالتين مهمتين أولهما: أن ما نطق به كان أبلغ رد على القدرية (الذين ينفون القدر عن الله تعالى، ويثبتونه للعبد. فقالوا إن كل فعل للإنسان هو إرادته وقدرته المستقلة عن إرادة الله تعالى فكأنما أعطوا الإنسان سلطانا على القدر، وقد نُسِبوا إلى ضد ما يقولون فسموا بالقدرية. وهم نفاة للقدر، كما تسمى الأشياء بأضدادها.) (٢) قال مالك بن أنس في هذه الآيات: ما أشدها على أهل القدر! أخبر عيسى عليه السلام بما قضى من أمره، وبما هو كائن إلى أن يموت.(٣)

ثانيهما: التنبيه إلى عظم السلامة، وأهمية الدعاء بها خاصة في هذه المواطن، التي يكون فيها العبد في غاية الضعف، وقلة الحيلة.

وبالسلامة نختم بحثنا، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام.

---

(١) تفسير القرطبي ٥٣٥/٦، ٥٣٦

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١١، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١١١٤/٢، ١١١٥

(٣) تفسير القرطبي ٥٣٥/٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمعنى أنه نوقش في الدنيا، وبرئت ساحته فيها.[١]

ولما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم، ثم سكت فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان، ولم ينقل أنه دام نطقه، ولا أنه كان يصلي وهو ابن يوم أو شهر.[٢]

إذ الفائدة من كلامه قد تمت، حيث أثبت في كل عبارة نطق بها أنه عبد الله وأن أمه مبرأة مصطفاة، فرد بظهر الغيب على كل من أحبه فغالي فيه أو كرهه فانتقص منه.

فأما قوله: "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ" فهو اعتراف بالعبودية، ولا قول يعلو على الاعتراف.

وقوله: "آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياً" فالنبوة شرف، والكتاب تكريم، ولا يكون هذا إلا لأطهر الخلق نسبا.

قوله: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ" إحصاء لصفاته التي عرف بها واشتهر، وتحديد الوصف من سمات العبد، أما الإله فلا تحصى صفاته، ولا تطغى صفة على أخرى، بل تتكافأ وتتوازن.

قوله : "وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً" أمر، ولا يتوجه الأمر إلا للعبد، والعبادة كذلك لا تتأتى إلا منه لافتقاره وحاجته، أما الإله فهو الملك، المستغني في ذاته عن كل موجود.

قوله: "وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِياً" إقرار بالإحسان إلى أمه كباقي الخلق، فلم يستنكر حقها لغرابة مولده، ولم يرتفع بذاته لكلامه في المهد.

---

(١) تفسير الشعراوي ٩٠٧٨/١٥

(٢) تفسير القرطبي ٥٣٥،٥٣٦/٦

والمعنى أنه نوقش في الدنيا، وبرئت ساحته فيها.[١]

ولما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم، ثم سكت فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان، ولم ينقل أنه دام نطقه، ولا أنه كان يصلي وهو ابن يوم أو شهر.[٢]

إذ الفائدة من كلامه قد تمت، حيث أثبت في كل عبارة نطق بها أنه عبد الله وأن أمه مبرأة مصطفاة، فرد بظهر الغيب على كل من أحبه فغالي فيه أو كرهه فانتقص منه.

فأما قوله: "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ" فهو اعتراف بالعبودية، ولا قول يعلو على الاعتراف.

وقوله: "آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياً" فالنبوة شرف، والكتاب تكريم، ولا يكون هذا إلا لأطهر الخلق نسبا.

قوله: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ" إحصاء لصفاته التي عرف بها واشتهر، وتحديد الوصف من سمات العبد، أما الإله فلا تحصى صفاته، ولا تطغى صفة على أخرى، بل تتكافأ وتتوازن.

قوله : "وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً" أمر، ولا يتوجه الأمر إلا للعبد، والعبادة كذلك لا تتأتى إلا منه لافتقاره وحاجته، أما الإله فهو الملك، المستغني في ذاته عن كل موجود.

قوله: "وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً" إقرار بالإحسان إلى أمه كباقي الخلق، فلم يستنكر حقها لغرابة مولده، ولم يرتفع بذاته لكلامه في المهد.

---

(١) تفسير الشعراوي ٩٠٧٨/١٥

(٢) تفسير القرطبي ٥٣٥،٥٣٦/٦

(روى أن عيسى قال ليحيى أنت خير مني، سلم الله عليك وسلمت على نفسي، لكن الحسن أجاب فقال: إن تسليمه على نفسه بتسليم الله عليه.)(١) لأنه إنما فعله بإذن الله.

وإعادة الدعوة مرتين تنبيه إلى خطورة هذه الأيام الثلاثة فهي أيام مصيرية لا يتيسر السلامة فيها إلا بلطف من الله وكثير دعاء من العبد.

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله:

إن هذه الأحداث أعلام ثلاثة في حياة الإنسان، ووجه السلامة فيها بالنسبة لعيسى عليه السلام كالآتي قوله: "وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وِلِدتُّ" لأن يوم مولده مر بسلام رغم ما فيه من عجائب، فلم يتعرض له أحد بسوء، وهو الوليد الذي جاء من دون أب، وكان ممكن أن يتعرض له ولأمه بعض المتحمسين، الغيورين ، بالإيذاء.

لكن شيئا من ذلك لم يحدث، ومر الميلاد بسلام عليه وعلى أمه ((وَيَوْمَ أَمُوتُ)) لأنهم أخذوه ليصلبوه، فنجاه الله من أيديهم وألقى شبهه على آخر، ورفعه الله إلى السماء.

((وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)) فليس هناك من الرسل من سيسأل هذه الأسئلة ويناقش هذه المناقشة التي نوقشها عيسى في الدنيا يقول تعالى: ((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ))(٢)

---

(١) تفسير الرازي ٢١٧/١١

(٢) المائدة آية ١١٦،١١٧

لاستغراق الجنس، فإذا قال: وجنس السلام علىّ خاصة فقد عرض بأن هذه عليكم، ونظيره قوله تعالى: "وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى"[1] يعني أن العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام اللجاج والعناد، فيليق به هذا التعريض.[2]

وقال صاحب التحرير والتنوير: و هذا التعريض باليهود إذ طعنوا فيه وشنعوه في الأحوال الثلاثة، فقالوا: ولد من الزنى، وقالوا: مات مصلوبا، وقالوا: يحشر مع الكفرة والملاحدة لأنهم يزعمون أنه كفر بأحكام من التوراة، ثم علل تعريف "السَّلام" بلام الجنس، بأنه مبالغة في تعلق السلام به حتى كان جنس السلام بأجمعه عليه،وهذا مؤذن بتفضيله على يحيى، إذ قيل في شأنه "وسلام عليه يوم ولد" وهذا هو الفرق بين المعرف بلام الجنس وبين النكرة.[3]

"وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ....." من هول المُطَّلع

"وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا....." يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم.[4]

ومن المعلوم أن سبقت الإشارة إلى هذه الدعوة في نفس السورة في حق يحيى عليه السلام مع اختلاف الناطق بها .

---

(١) طه آية ٤٧

(٢) الروض الريان في أسئلة القرآن ٢٣٨،٢٣٧/١ ، وتفسير الكشاف ١٥/٣

(٣) التحرير والتنوير ١٠١/٧

(٤) تفسير الطبري ٥٣٤/١٥

شقيا، فهو الشقي على الحقيقة، لا من عرض له الشقاء بعد ذلك، وهو إشارة إلى شقاء الآخرة لا الدنيا.(١)

بهذه الآية أظهر عيسى حسن حاله مع الناس، وأخبر بحسن حاله مع الله.

قال القرطبي: دلت هذه الآية على أن الصلاة والزكاة وبر الوالدين، كان واجباً على الأمم السالفة، والقرون الخالية الماضية، فهو مما يثبت حكمه، ولم ينسخ في شريعة أمره.(٢)

﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وِلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً.....﴾

أي والأمنة من الله على من الشيطان وجنده يوم ولدت، أن ينالوا منى ما ينالون ممن يولد عند الولادة من الطعن فيه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها"(٣)

والألف واللام في "والسلام" للعهد، لأنه قد تقدم لفظه في قوله عز وجل "والسلام عليه" الآية ١٥، فهو كقوله "إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً"(٤) أي ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى، وقال الزمخشري: والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام

---

(١) لسان العرب ١٦٩/٧

(٢) تفسير القرطبي ٥٣٦/٦

(٣) سبق تخريجه ص ١٤

(٤) المزمل آية ١٥،١٦

رسالته على الوجه الذي أراده الله، قال تعالى: "وَلَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"(١)

(قال قتادة: كان عيسى عليه السلام يقول: سلوني فإني لين القلب، صغير في نفسي، وكان عليه السلام في غاية التواضع، يأكل الشجر، ويلبس الشعر، ويجلس على التراب، ويأوي حيث جنه الليل، إذ لا مسكن له.)(٢)

فقوله: "وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً" وصف لحاله مع الناس، وربما يكون تكملة لوصف حاله مع أمه، ويكون الرفق واللين شرح للبربها، فكأنه يقول: وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا (متكبرا، بل أنا خاضع لأمي، متواضع لها، والجبار خلق مقرونة بالشقاء، قال بعض العلماء: لا تجد العاق إلا جبارا شقيا، وتلا "وَبَرَّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً" ولا تجد سيئ الملكة إلا مختالا فخورا، وقرأ "وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً")(٣)

﴿شَقِيّاً.....﴾ قال ابن عباس: أي عاقا. وقيل: خائبا من الخير، وقيل: عاصيا لربه، وقيل: لم يجعلني تاركا لأمره فأشقى كما شقى إبليس لما ترك أمره.(٤)

قال ابن منظور: الشقي ضد السعيد، وفي الحديث "الشقي من شقى في بطن أمه"(٥) والمعنى: أن من قدر الله عليه في أصل خلقته أن يكون

---

(١) آل عمران آية ١٥٩

(٢) تفسير الطبري ٥٣٣،١٥/١٥ ، والبحر المحيط ٢٥٩/٧

(٣) تفسير الرازي ٢١٦/١١

(٤) تفسير القرطبي ٥٣٥/٦

(٥) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ٢٠٣٧/٤ حديث رقم ٣

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً.....﴾ متكبرا مترفعا على الناس وقيل: الجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقا.

ومن معاني الجبار: الذي يقتل على الغضب، القتال في غير حق وفي التنزيل "وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ"(٢) وقوله: "إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ المُصلِحِينَ"(٣) أي قتالا في غير الحق، وكله راجع إلى معنى التكبر.(٤)

والجبار على هذا المعنى رد من المسيح على ما ارتكبه النصارى في حملاتهم الصليبية من جرائم باسمه كما يزعمون، وقد استنكر أمير الشعراء ما فعلوه بقوله:

يا حامل الآلام عن هذا الورى كثرت عليك باسمك الآلام(٥)

إشارة إلى ما يعتقده النصارى من أن المسيح صُلِبَ فداء للبشرية وتكفيرا عن خطيئة آدم عليه السلام(٦) فكأنه عليه السلام يقول: ما جئت قاسيا، ولا سفاكا للدماء ولكن جئت لينا رحيما بالخلق، متواضعا للحق.

والحق أنها صفة يتقاسمها الرسل جميعا وتقتضيها مهمتهم الجليلة، فهم يقومون بتغيير عادات وأعراف ومحاربة نفوس وشيطان، وإلزام الناس بالطاعة، والنفس بطبيعتها يثقل عليها ذلك، كما أنهم يتعرضون لأنواع من العناد والسخرية، والهمز واللمز، ولا يغلب ذلك إلا الرفق والمحايلة، فكان لزاما أن يكون عليه السلام رقيقا، مشفقا، يجنب الناس حوله، حتى ينم

---

(١) تفسير القرطبي ٥٣٥/٦

(٢) الشعراء آية ١٣٠

(٣) القصص آية ١٩

(٤) لسان العرب ١٦٥/٢، ١٦٦

(٥) ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب د/أحمد محمد الحوفي ٣٨٨/١

(٦) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ٥٧٥/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكر الألوسي: أن الظاهر المتبادر من المدة المذكورة، مدة كونه عليه السلام حيا في الدنيا، وذلك لا يشمل مدة كونه عليه السلام في السماء.(١)

وهذه دلالة بينة على أن العبد ما دام حيا لا يسقط عنه التكاليف والعبادات الظاهرة، فالقول بسقوطها كما نقل عن بعض الإباحيين كفر وضلال.(٢)

ومن الملاحظ أن عيسى عليه السلام عندما تحدث عن النبوة قال:"جعلني" والجعل إجبار، إذ النبوة اصطفاء ومشيئة من الله، لا دخل للعبد فيها.

أما التكليف الذي هو مجال المساءلة، ومنه العبادات، فالإنسان في هذا المجال حر، حر في أن يعبد الله ويجتهد في العبادة، وحر في أن لا يعبده ويعصيه لهذا عندما تحدث عن العبادة قال: "أوصاني" إذ فيها نوع من الاختيار.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي.....﴾ رفيقا بأمي، خادما لها.

فالبر: ضد العقوق، ومن معانيه الإحسان، والطاعة، واللطف.(٣)

وفي إقرار عيسى بره بأمه، واستحقاقها لإحسانه، شهادة تبطل كل قول يقال فيها، لأنه أولى الناس بها، هو من تجمله طهارتها ويشينه غير ذلك.

(قال ابن عباس: لما قال وبرا بوالدتي، ولم يقل بوالدي علم أنه شيء من جهة الله تعالى)(١)

---

(١) روح المعاني ١٣٠/٩

(٢) تنوير الأذهان ٤١٣/٢

(٣) لسان العرب ٣٧٢،٣٧١/١

كل دين، ولا يمكن حصر مزاياهما، فالخير الذي ينتج عنهما لا ينتهي، يكفي أنهما تطهير مما عسى أن يكون قد شاب المال والبدن من حرام.

قال الخازن: أمره تعالى بأدائهما في الوقت المعين لهما وهو البلوغ، وقيل: في الحال حيث صيره تعالى حين انفصل عن أمه بالغا عاقلا،(١) والظاهر: أن إيصاءه بالزكاة لا يستلزم غناه، بل هي بالنسبة إلى أغنياء أمته، وعموم الخطابات الإلهية منسوب إلى الأنبياء، تهييجا للأمة على الائتمار والانتهاء.(٢)

وقد يراد بالصلاة والزكاة المعنى اللغوي لهما قال الماوردي: وأوصاني بالصلاة فيها وجهان، أحدهما: الدعاء والإخلاص، الثاني: الصلوات ذات الركوع والسجود ويحتمل ثالثا: أن الصلاة الاستقامة مأخوذ من صلاه العود إذا قوم اعوجاجه بالنار، والزكاة فيها وجهان أحدهما: زكاة المال، الثاني: التطهير من الذنوب، ويحتمل ثالثا: أن الزكاة الاستكثار من الطاعة، لأن الزكاة في اللغة النماء والزيادة.(٣)

﴿مَا دُمْتُ حَيّاً.....﴾ وقرأ "دُمْتُ" بضم الدال عاصم وجماعة وقرأ "دِمْتُ" بكسر الدال أهل المدينة وابن كثير وابن عمرو،(٤) والمعنى:- أي دوام حياتي(٥) والآية تفيد أن دوام هذا التكليف متوجه إليه في زمان جميع حياته، حين كان في الأرض، وحين رفع إلى السماء، وحين ينزل إلى الأرض بعد رفعه.(٦)

---

(١) تفسير الخازن ٣/٢٤٥

(٢) حدائق الروح والريحان ١٧/١٣٦

(٣) النكت والعيون ٣/٢٧٠، ٢٧١

(٤) البحر المحيط ٧/٢٥٩

(٥) تفسير القرطبي ٦/٥٣٥

(٦) تفسير الخازن ٣/٢٤٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي كل شريعة صلاة، وإن اختلفت في الهيئات والأوقات قال أبو الأنبياء في دعائه "رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ"(١) فيكون أوصاه بالصلاة (أي أمره بأدائها في وقتها المحدد، إذ في إقامتها وإدامتها على الوجه الذي سنه الدين تطهير النفوس من الأرجاس، ومنع لها من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن.)(٢)

إذ من شروط الصلاة أن يقف المصلي بين يدي ربه خاشعا نازعا من نفسه كل مشاغلها ينحصر فكره فقط في رضاء ربه، ومن كان همه رضاء ربه، فلا يسرق أحدا، أو يغشه أو يخونه لأنه يعلم أنه سيلقى ربه بعد قليل، وهي كذلك تخلق في المؤمن الثقة بالنفس والثبات والجرأة فالفقير الضعيف يقف في صلاته بجانب القوي والغني مساويا لهما يؤدي ما يؤديه كل منهما والقبول فيها لمن كان أكثر إخلاصا وتواضعا وخشية.

كثيرة هي مزايا الصلاة جمعها قوله تعالى "إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ"(٣)

وكذلك الزكاة فهي أيضاً في كل شريعة، وإن اختلفت في النصاب والميقات لكن نتائجها لا تختلف، إذ تقيم بنيان المجتمع على أساس متين من التراحم والتعاطف، فتتلاشى فيه كثير من الأمراض والجرائم كما تعود بالنفع على صاحبها، إذ تعينه على الإخلاص، وتعوده البذل والعطاء، وتخلق فيه حالة من التوازن النفسي، فلا تزعجه كثرة المال ولا تصدمه خسارته، فالصلاة والزكاة نظامان وضعهما الله تعالى وارتضاهما لعباده في

---

(١) إبراهيم آية ٤٠

(٢) حدائق الروح والريحان ١٣٦/١٧

(٣) العنكبوت آية ٤٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[١]

((وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً.....))

بدأ عيسى بإظهار عقيدته، لأنها أول التكاليف الدينية، وبعدها تأتي العبادات كمرحلة ثانية لتوثيق العقيدة وتثبيتها، يقال: (أوصى فلان فلانا بالشيء أي أمر به وفرضه عليه.[٢])

أمره تعالى بعد التوحيد بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

والمراد بالصلاة: إما الصلاة المعروفة المشتملة على القيام والركوع والسجود. والزكاة: زكاة المال[٣]

وخصهما تعالى بالذكر، لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، وشرعت لذكر الله، والزكاة أفضل العبادات المالية، ومجموعهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، روى أن أعرابيا جاء إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له: يا ابن عباس لماذا قرن الله الصلاة إلى الزكاة في القرآن في أكثر من ثلاثين آية ؟ فقال ابن عباس: ذلك لتعلم أن الصلاة والزكاة توأمان لا يقبل الله إحداهما بدون الأخرى، تلك حق الله، وهذه حق الناس ورضي الله عن الصديق الذي سوى بين المرتدين ومانعي الزكاة في القتال والمحاربة.[٤]

---

(١) المائدة آية ١١٠

(٢) المعجم الوجيز ص٦٧٢

(٣) النكت والعيون ٣/٣٧٠،٣٧١

(٤) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٨/٣٨٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأتى بلفظ الماضي بجعل المحقق وقوعه كالواقع كما في قوله تعالى "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" النحل آية ١

قال ابن عباس: أن هذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ، وعن الحسن رضي الله عنه أنه ألهم التوراة وهو في بطن أمه، وقيل: إنه أوتي الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال. ومن قال الكتاب هو التوراة: جعل الألف واللام للعهد، لأنه لا معهود حينئذ إلا التوراة، ومن قال: الإنجيل، قال: الألف واللام للاستغراق.(١)

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ.....﴾ البركة: هي النماء والزيادة والعلو، وهي الكثرة في كل خير، والمبارك: ما يأتي من قبله الخير الكثير.(٢) "وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً" معناه: نفاعا حيثما كنت، وقيل: آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، وقيل: معلما للخير وقيل قضاء للحوائج، مبارك على من اتبعني(٣) والكلمة تعم هذه الوجوه وغيرها.

فقد كان عليه السلام حيثما حل تصحبه البركة، كان يمسح على المرضى فيشفيهم بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، ويحي الموتى بإذن الله ويزيد الطعام ويخلق الطير بإذن الله، وهدى الله به خلقا كثيرا قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي

---

(١) ينظر السابق ٥٨/١٣ ، وتفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٣٨٦/٨ والسراج المنير ١١٣،١١٢/٤

(٢) لسان العرب ٣٨٧،٣٨٦/١

(٣) تفسير الطبري ٥٣١،٥٣٠/١٥

"يسوع" ؟ فلأن يسوع مشتق من الفعل ساع يسوع سوعا بمعنى هلك وضاع، وساعت الإبل أو الماشية، ذهبت في المرعى أو تركت بلا راع، وعيسى لم يهلك على الصليب كما يعتقدون.

وقال بعض الصوفية: إن عيسى جاءت من "عسى" ذلك الفعل الذي يفيد الرجاء، فهو المرجو الذي فيه الرجاء.

ويرى الأستاذ رؤوف أبو سعدة: أن عيسى مشتق من الفعل الثلاثي معتل الوسط عاس يعيس، وعاس على عياله: كدح وكدح عليهم، وعاس ماله: أحسن القيام عليه، والأعيس من الإبل: الكريم منها وجمعها عيـــس.

واشتقاق الاسم عيسى يكون بمعنى الكريم الذي كدح وكد في مهمته وأحسن القيام عليها، وهل هناك كد وكدح حتى يصبح على قيد شعرة من الصلب، فلا يزيده هذا إلا تمسكا بالله ورضوخا لمشيئته. (١)

الثالث: ابن مريم

فهو اسم أيضاً وعلم حيث ينتسب لأمه، وقيل: أن الاسم عيسى، والمسيح لقب، وابن مريم صفة، ولكن قيل: أن مجموع الألفاظ الثلاثة إخبار عن اسمه بمعنى أن كلا منها ليس مستقلا بالخبرية، بل هو من باب، هذا حلو حامض وهذا أعسر يسرا. (٢)

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياً.....﴾

أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوة في الأزل، وإن لم يكن منزلا في الحال.

---

(١) قصص الأنبياء والتاريخ ٤٨/٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٢٢٥/٥

مسيحاً أو لأنه مسحه جبريل بجناحه، وقت الولادة صونا له عن مس الشيطان، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن.(١)

ولعل هذا أقرب الأسباب

لأن المسيح في مصطلح اليهود معناه الذي مسح بدهن البركة، بأن صب زيت الزيتون على رأسه، والمسح بهذه الطريقة أحد طقوس الديانة اليهودية يرسم بها الكاهن كاهنا مثله، أو يرسم بها نبي نبياً كما فعل صموئيل النبي مع داود عليه السلام، أو يرسم بها النبي ملكا كما فعل صموئيل النبي مع طالوت، اذ أخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأس شاول وقبله وقال: إن الرب قد مسحك على إسرائيل رئيسا.

أما عن عيسى فلم يمسحه كاهن، ولا نبي، بل سماه الله المسيح دلالة على أن الله هو الذي مسحه، ولذلك عُرِّف بالألف واللام، فأصبح اسم المسيح علما عليه وحده.(٢)

وبهذا الاسم "المسيح" دون ذكر اسم عيسى – ورد ذكره في القرآن في ثماني مواضع(٣)

الثاني: عيسى

وأصله يشوع كما قالوا في موسى أصله موشى أو ميشا بالعبرانية(٤) وكان يهود ونصارى الجزيرة العربية ينطقونها يسوع، لأن الشين في العبرية تقلب إلى سين بالعربية و"يسوع" هو الاسم الذي ورد في الترجمات العربية للإنجيل، أما لماذا قال القرآن الكريم "عيسى" ولم يقل

---

(١) ينظر عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٤/٨٨، ٨٩ والمفردات ص ٤٧٠

(٢) قصص الأنبياء والتاريخ ٦/٤٨

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم صـ٦٦٦

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٥/٢٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفيه من إجلال أمه ما ليس في التصريح لأن الله تعالى لا يخص بولد موصوف بما ذكر إلا مبرأة مصطفاة.(١)

قال الجنيد: المعنى: إني عبد الله ولست بعبد سوء، ولا عبد طمع، ولا عبد شهوة، وفيه إشارة إلى أن أفضل أسماء البشرية العبودية.(٢)

وعبد الله هنا صفته عليه السلام، أما اسمه فقد سماه به تعالى قبل ولادته، ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(٣) ثلاثة أسماء

الأول: ١- المسيح وسمي بذلك قيل:

ا- قيل لأنه يمسح الأرض بالسياحة، أي يقطعها، ومنه مسح القسام الأرض، وعلى هذا المعنى يجوز أن يقال لعيسى مسِّيح بالتشديد، على المبالغة كما يقال: رجل شريب.

ب- أو لأنه كان يلبس المسوح، والمسوح جمع مسح، وهو ما اتخذ من الشَّعر.

ج- وقيل: لأنه يمسح ذا العاهة فيبرأ.

د- لأنه مسح من الأوزار والآثام.

هـ- أو لأنه مسيح القدم، لا أخمص له.

و- أو لمسح وجهه بالمَلاحة.

ز- أو لأنه كان ممسوحاً بدُهن طاهر مبارك، تمسح به الأنبياء، ولا يمسح به غيرهم قالوا: وهذا الدهن من مسح به وقت الولادة فإنه يكون

---

(١) روح المعاني ١٢٩/٩

(٢) حدائق الروح والريحان ١٣٥/١٧، ١٣٦

(٣) آل عمران آية ٤٥

كان: اختلف فيها على أربعة أقوال زائدة أو ناقصة على بابها أو تامة، أو بمعنى صار.

في المهد: جار ومجرور.

صبياً: تعرب حالا منصوبا إذا أُعربت "كان" تامة، أو زائدة. وتعرب خبر كان منصوبا اذا أعربت "كان" ناقصة أو بمعنى صار، ويكون اسم كان ضمير مستتر تقديره هو.

براءة مريم عليها السلام:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ .

لما أشارت مريم إلى عيسى عليه السلام أقبل عليهم بوجهه قائلاً "إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ" نطق بأول وأهم خبر تأتي به السماء، نطق بالذي قامت السماوات والأرض لأجله، وإذا كان النطق في حد ذاته معجزة، فالمنطوق به أشد إعجازا إذ العبارة على قصرها عميقة وحية، ناطقة تماما بما كان، ونافية لما سيكون.

يقول الإمام الألوسي في هذا المقام: وذكر عبوديته لله تعالى أولا، لأن الاعتراف بذلك هو أول مقامات السالكين، وفيه رد على من يزعم ربوبيته، وفي جميع ما قال تنبيه على براءة أمه لدلالته على الاصطفاء، والله سبحانه أجل من أن يصطفي ولد الزنا، وذلك من المسلمات عندهم،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شَيْئاً: مفعول به منصوب بالفتحة.

فَرِياً: صفة لـ "شيئاً" منصوب بالفتحة.

يَا أُخْتَ: يا: حرف نداء، أخت: منادى منصوب بالفتحة، وهي مضاف.

هَارُونَ: مضاف إليه مجرور بالفتحة بدلا من الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية.

مَا كَانَ: ما: نافية، كان: فعل ماض ناقص مبني على الفتح.

أَبُوكِ: اسم كان مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة. وهي مضاف، والكاف: ضمير مبني على الكسر في محل جر مضاف إليه.

امْرَأَ: خبر كان منصوب بالفتحة، وهي مضاف.

سَوْءٍ: مضاف إليه مجرور بالكسرة.

وَمَا: الواو: حرف عطف، ما: نافية.

كَانَتْ: فعل ماض ناقص مبني على الفتح، والتاء: تاء التأنيث.

أُمُّكِ: اسم كان مرفوع بالضمة، والكاف: ضمير مبني على الكسر في محل جر مضاف إليه.

بَغِياً: خبر كان منصوب بالفتحة.

فَأَشَارَتْ: الفاء: عاطفة، أشارت: فعل ماض مبني على الفتح، التاء: للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.

إِلَيْهِ: جار ومجرور.

قَالُوا: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، الواو: ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل، والألف: للتفريق.

كَيْفَ: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال.

نُكَلِّمُ: فعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل: ضمير مستتر تقديره نحن.

مَنْ: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

براءة أنفسهم مؤمنين ببراءتها لكن مستبعدين ما يرونه على يديها.
أو أن هذا جريا على عادتهم من الجدال العقيم، وانعواج السلوك
فكأنهم قالوا: وإنه وإن حدث وكلمهم لا يفهمونه، ولا يقدرون على
استجوابه.

الإعراب

فَأَتَتْ: الفاء: استئنافية، أتت: فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المقصورة المحذوفة، لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة، والتاء: تاء التأنيث، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.

بِهِ: جار ومجرور.

قَوْمَهَا: مفعول به منصوب بالفتحة ، وها: مضاف إليه مبني على السكون في محل جر.

تَحْمِلُهُ: فعل مضارع مرفوع بالضمة، والهاء ضمير مبني على الضم في محل نصب مفعول به، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هي.

قَالُوا: فعل ماض مبني على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، الواو: ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل، والألف للتفريق وللدلالة على الجماعة.

يَا مَرْيَمُ: يا: حرف نداء، مريم: منادى مبني على الضم في محل نصب بيا، ولم ينون آخر الاسم، لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

لَقَدْ: اللام: موطئة للقسم، قد: حرف تحقيق.

جِئْتِ: فعل ماض مبني على السكون، التاء: ضمير مبني على الكسر في محل رفع فاعل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولد.(١)

والمعنى: كيف نكلم من كان سبيله أن ينوّم في المهد لصغره.(٢)

وفي"كان" في هذا الموضع أقوال.

١- أنها زائدة أي كيف نكلم من في المهد

٢- أنها تامة، بمعنى حدث ووجد، والتقدير كيف نكلم من وجد صبيا.

٣- أنها بمعنى صار، أي كيف نكلم من صار في المهد صبيا.

٤- أنها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع، كقوله تعالى "وكان الله غفورا رحيما" ولذلك يعبر عنها بأنها ترادف "لم يزل"(٣)

ووجه آخر، وهو أن يكون "نكلم" حكاية حال ماضية، أي كيف عُهِدَ قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا(٤)

وذكر القرطبي من تكلم في المهد فقال: شاهد يوسف، وصبي ماشطة امرأة فرعون، ويحيى وعيسى، وصاحب جريج، وصاحب الجبار، وصاحب الأخدود.(٥)

من هنا نلاحظ أنهم قالوا: "كيف نكلم" ولم يقولوا "كيف يتكلم" والمستبعد هو كلام الصبي وليس الكلام معه، فالأم وهي تهدهد صبيا تحدثه ولا يُستغرب ذلك منها، وأرى أن هذا إما أن يكون من قبيل الشك ، فهم في

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٥٥/١٣

(٢) القرطبي ٥٣٥/٦

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه ١٠٠/٦

(٤) تفسير الزمخشري ١٤/٣ وينظر روح المعاني ١٢٨/٩

(٥) القرطبي ٢٤/٣

منه أفحش.)[١]

ولما بالغوا في توبيخها، والإنكار عليها، ولم يلتمسوا لها عذرا، اتجهت

"فَأَشَارَتْ....." التزمت مريم عليها السلام ما أمرت به من ترك الكلام، ولم يرد في هذه الآية أنها نطقت بـ "إني نذرت للرحمن صوما" وإنما ورد بأنها أشارت، قال القرطبي: فيقوى بهذا قول من قال: إن أمرها ((بقولى)) إنما أريد به الإشارة، والإشارة معروفة تكون باليد والعين وغير ذلك.[٢]

" إِلَيْهِ....." إلى عيسى أن كلموه ليجيبكم، ويكون كلامه حجة لي، وهنا غضب القوم، وقالوا: فعلت ما فعلت، وتسخرين بنا، ويروي أنهم لما أشارت إلى الطفل قالوا: استخفافها بنا أشد علينا من زناها.

"قَالُوا....." منكرين لجوابها، موبخين لها.

"كَيْفَ نُكَلِّمُ....." نحدث ونسأل ونستفهم.

"مَن كَانَ فِي المَهْدِ صَبِياً....." المراد به حجرها، الذي تربيه فيه، أو أنه سرير الصبي المعهود لمنامه، [٣]

وفي اللسان: مَهْدُ الصبي: موضعه الذي يهيأ له ويوطأ لينام فيه والجمع مهود [٤]

" صَبِياً.....": صغيرا ابن اربعين يوما، وقال مقاتل: بل هو يوم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٥٤/١٣

(٢) القرطبي ٥٣٤/٦

(٣) حدائق الروح والريحان ١٣٥/١٧

(٤) لسان العرب ٢٠٦/١٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ﷺ ذكرت ذلك له فقال: ألم يعلموا أنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين"[١] والمعنى أنه اسم وافق اسما.

٣- وقال الكلبي: كان لها أخ من أبيها اسمه هارون، لأن هذا الاسم كان كثيرا في بني إسرائيل تبركا باسم هارون أخى موسى، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل.

٤- وقيل: بل كان في ذلك الزمن فاجر، اسمه هارون، فنسبوها إليه على جهة التعيير والتوبيخ.[٢]

اتهام صريح بالفاحشة، ورفض لأي حجة ممكن الاستناد إليها قالوا:

" مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ....." أي زانيا.

" وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا....." أي زانية. [٣]

فالمرء قد يسلك مثل هذا السلوك المشين، اذا كان في أصله عوج، وله من أقرانه شبيه، أما أنت فأي سوء رأيت في سلوك الأب، وخلق الأم حتى تميلى هذا الميل، ويكون هذا الولد، ولذلك فقول الكلبى، وهو أن المراد بهارون: أخوها وكان معروفا بالصلاح، أقرب لوجهين:

الأول: (أن الأصل في الكلام الحقيقة، فيحمل الكلام على أخيها المسمى بهارون.

الثاني: أنها أضيفت إليه، ووصف أبواها بالصلاح، وحينئذ، يصير التوبيخ أشد، لأن من كان حال أبويه، وأخيه هذا الحال يكون صدور الذنب

---

(١) مسلم في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء ١٦٨٥/٣ حديث رقم٩، والترمذي في كتاب التفسير، باب سورة مريم ٣١٥/٥ حديث رقم ٣١٥٥، وقال حديث حسن صحيح غريب

(٢) ينظر الرازي ٢٠٨/١١، ٢٠٩ ، روح المعاني ١٢٧/٩، ١٢٨ ، القرطبي ٥٣٢/٦، ٥٣٣

(٣) تنوير الأذهان ٤١٢/٢

إنسياً مفعول به منصوب بالفتحة.

مواجهة فاصلة

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياً (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِياً (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِياً﴾.

حملت مريم ولدها وأتت قومها إتيان الواثق من نفسه، المؤمن بقضيته، المتعجل لإظهار حقيقة أمره، فالفاء في قوله "فأتت" مثل الفاء في قوله "فحملت" "فانتبذت" "فأجاءها" وقد بينا أنها تدل على الفورية والسرعة، وعلى هذا فالمعنى أن مريم هي التي بادرتهم، وسارعت بابنها إليهم، ولم تستتر أو تختبئ حتى فاجئوها، ولم تفكر حتى في الهرب بعيدا عنهم حتى يتناسى أمرها.

(قال ابن عباس: خرجت من عندهم حين أشرقت الشمس فجاءتهم عند الظهر، ومعها صبي تحمله، فكان الحمل والولادة في ثلاث ساعات من النهار، وقال الكلبي: ولدت حيث لم يشعر بها قومها، ومكثت أربعين يوما للنفاس، ثم أتت به قومها تحمله.)[1]

اذ هو دليل براءتها لا جريمتها، لذا لما سأل بعض المستشرقين الإمام محمد عبده رحمه الله في باريس، بأي وجه قابلت عائشة قومها بعد حديث الإفك، فأجاب بالوجه الذي قابلت به مريم قومها وهي تحمل وليدها.[2] فلما رآها القوم على هذه الحال قالوا:

" يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياً...." أي:

١- عظيما، يقال: فلان يفرى الفرى أي يعمل العمل البالغ، ومنه قول

---

(١) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٣٨٢/٨

(٢) تفسير الشعراوي ٩٠٧٣/١٥

ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل.

وَقَرِّي الواو عاطفة، قرى: فعل أمر مبني على حذف النون ، الياء: ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل.

عَيْناً تمييز منصوب بالفتحة.

فَإِمَّا الفاء: حرف استئناف، إن: حرف شرط جازم، ما: زائدة

تَرَيِنَّ فعل مضارع مجزوم بـــ "إن" الشرطية على كونه فعل شرط لها، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، الياء: ضمير مبني على السكون المقدر في محل رفع فاعل، والنون نون التوكيد.

مِنَ البَشَرِ جار ومجرور وهو في محل نصب حال.

أَحَداً مفعول به منصوب بالفتحة.

فَقُولِي الفاء: رابطة لجواب الشرط، قولي: فعل أمر مبني على حذف النون،، الياء: ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل. والجملة في محل جزم جواب الشرط

إِنِّي أنَّ: حرف توكيد ونصب، الياء: ضمير مبني على السكون في محل نصب اسم إنَّ

نَذَرْتُ فعل ماض مبني على السكون، التاء: ضمير مبني على الضم في محل رفع فاعل، والجملة في محل رفع خبر إنَّ.

لِلرَّحْمَنِ جار ومجرور.

صَوْماً مفعول به منصوب بالفتحة.

فَلَنْ الفاء: حرف عطف، لن: حرف نفي ونصب واستقبال.

أُكَلِّمَ فعل مضارع منصوب بلن، وعلامة نصبه الفتحة، والفاعل: ضمير مستتر تقديره أنا

اليَوْمَ ظرف زمان منصوب بالفتحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاعل مرفوع بالضمة، والكاف: ضمير مبني على الكسر في محل
جر مضاف إليه.
ظرف مكان منصوب بالفتحة، والكاف: ضمير مبني على الكسر
في محل جر مضاف إليه.
مفعول به منصوب بالفتحة.
الواو حرف عطف، هزي: فعل أمر مبني على حذف النون لأن
مضارعه من الأفعال الخمسة، والياء: ضمير مبني على السكون
في محل رفع فاعل.
إلى: حرف جر، والكاف ضمير مبني على الكسر في محل جر.
الباء: حرف جر زائد، جذع: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه
فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة
حرف الجر الزائد وقيل: المفعول محذوف، والجار والمجرور
حال من ذلك المحذوف، تقديره ; وهزي إليك رطبا كائنا بجذع
النخلة.
مضاف إليه مجرور بالكسرة.
فعل مضارع مجزوم لوقوعه جوابا للطلب السابق، وعلامة جزمه
السكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.
جار ومجرور.
مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المنونة.
صفة لـ "رطبا" منصوب بالفتحة.
الفاء: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره
; إذا تم لك هذا كله فكلي.... كلي: فعل أمر مبني على حذف
النون، والياء: ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل.
واشربي الواو: عاطفة، اشربي: فعل أمر مبني على حذف النون، الياء

وما كانت مريم لتجادل في نفسها، فمهما قالت لن تصدق. السكوت اذن أصون لعرضها، وأنسب لحيائها، وهي في ذات الوقت لم تحرم من محادثة جبريل أو من مناجاة ربها، ومشاهدة آياته، قال الإمام الزمخشري في معنى قوله: "انسيا" أي أكلم الملائكة دون الإنس.(١)

كرامة تلو الأخرى تراها وتسمعها، جددت الإيمان وقوته في قلبها، فتلاشت كل المخاوف، وحملت ولدها بشجاعة وثبات، وتقدمت لمواجهة قومها.

الإعراب

فَنَادَاهَا الفاء: حرف استئناف نادى: فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو وها: ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

مِن حرف جر.

تَحْتِهَا ظرف مكان مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة وها: ضمير مبني على السكون في محل جر مضاف إليه.

أَلاَّ أصلها أن لا، أن: حرف تفسير، ولا: حرف نهى وجزم.

تَحْزَنِي فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والياء ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل.

قَدْ حرف تحقيق.

جَعَلَ فعل ماض مبني على الفتح.

---

(١) تفسير الكشاف ١٣/٣

ويصوم، فقال النبي ﷺ: مره فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه".(١)

وهكذا روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه دخل على امرأة قد نذرت أن لا تتكلم فقال: إن الإسلام قد هدم هذا فتكلمي(٢)

قال ابن زيد والسدي: كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام، أما سنتنا نحن في الصيام الإمساك عن الكلام القبيح.(٣) قال ﷺ "إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل إني صائم".(٤)

وبقول مريم "إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً " لأول من رأته من البشر، تم إعلان صومها، وانقطعت عن الكلام بعدها وكان قولها " فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً" ومعناه: أي آدميا بعد أن أخبرتك بنذري، هو من تمام النذر لا بعده.(٥)

وقد منعت مريم من الكلام لأمرين:

أحدهما: أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها، وفي هذا دلالة على أن تفويض الكلام إلى الأفضل أولى.

الثاني: كراهة مجادلة السفهاء، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب.(٦)

---

(١) البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ١٤٣/٨ حديث رقم ٦٧٠٤

(٢) السراج المنير ١١٠/٤

(٣) تفسير القرطبي ٥٣١/٦

(٤) البخاري في كتاب الصوم، باب هل قول إني صائم اذا شتم ٢٦/٣، حديث رقم ١٩٠٤، ومسلم في كتاب الصوم، باب حفظ اللسان للصائم ٨٠٦/٢، رقم ١٦٠ واللفظ له.

(٥) ينظر تفسير الشعراوي ٩٠٧١/١٥ السراج المنير ١١٠/٤ بتصرف

(٦) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٣٨٠/٨

الياء همزة

وروى عنه ((لترؤن)) بالهمز أيضاً بدل الواو، قال ابن خالويه: وهو عند أكثر النحويين لحن.

- وقرأ أبو جعفر وشيبة "ترين" بسكون الياء وفتح النون الخفيفة قال ابن جنى: وهي شاذة يعني لأنه لم يؤثر الجازم فيحذف النون.(١)

"مِنَ البَشَرِ أَحَداً....." فإذا رأيت أحدا من الناس كائنا من كان فيسألك عن ولدك

"فَقُولِي....." له باللسان أو بالإشارة

" إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ....." أوجبت على نفسي لله

"صَوْماً....." أي صمتا، وفي قراءة أبي بن كعب "إني نذرت للرحمن صوما صمتا" وروي عنه أيضا، وعن أنس: "وصمتا" بواو وكان صيام المجتهدين في بني إسرائيل بالإمساك عن الطعام والكلام حتى يمسي.(٢)

وذكر القرطبي: أنه كان يلزمهم الصمت يوم الصوم إلا بالإشارة وقيل: إن الصمت كان عندهم في الصوم ملتزما بالنذر، كما أن من نذر منا المشي إلى البيت اقتضى ذلك الإحرام بالحج أو العمرة.

وقد نسخ في هذه الأمة لما فيه من التضييق وتعذيب النفس، وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق بالكلام(٣)، لحديث أبي إسرائيل عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم،

---

(١) البحر المحيط ٢٥٦/٧

(٢) تنوير الأذهان ٤١١/٢، ٤١٢

(٣) تفسير القرطبي ٥٣٠/٦

ولا شك أن النوم في حالة مريم أمر خارج عن العادة، لأن الذي ينام هو الفرح المسرور، أما المحزون الخائف يسهر ولا يأخذه النوم، فإذا نام كان رحمة من الله ونعمة.

وقد أكرم الله تعالى مريم فسكَّن قلبها، وأمنها حتى نامت.

(وههنا يتأتى سؤال: لماذا قدم تعالى الأكل والشرب وأخر "وقرى عينا" مع أن مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش لأن الخوف ألم الروح، والجوع والعطش ألم البدن، وألم الروح أقوى من ألم البدن. ؟

والجواب: أن هذا الخوف كان قليلا وقد تقدم قبلُ بشارة جبريل عليه السلام، وأردف بما سمعته من كلام عيسى عليه السلام، فزال عنها خوفها بقدرة الله تعالى[1])

وبعد أن شبعت مريم، وارتوت، وهدأت بالا واطمأنت، استعدت للقاء أهلها، فأوصاها جبريل أو ولدها على الخلاف المار في من المنادى أهو جبريل أم عيسى عليهما السلام أوصاها فقال: "فَإِمَّا تَرَيِنَّ....." تبصرين (والأصل فيه "تَرْأيِينَ"، فحذفت الهمزة، ونقلت فتحتها إلى الراء فصار "ترييَن"، ثم قلبت الياء الاولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان: الألف المنقلبة عن الياء، وياء المؤنثة المخاطبة فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار تَرَيْنَ

ثم حذفت النون علامة للجزم فبقى "تَرَىْ" ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة فكسرت ياء المخاطبة لالتقاء الساكنين لأن نون التوكيد بمنزلة نونين، الأولى ساكنة فصار "تَرَيِنَّ" فالأعمال فيه ستة أو سبعة.)[2]

وقرأها أبو عمرو في ماروى عنه ابن الرومى، "ترئن" بالإبدال من

---

(١) الروض الريان في أسئلة القرآن ٢٣٦/١

(٢) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٣٨٠/٨

وإنباء بطريق الغيب عن أن ميلاد المسيح كان صيفا في وقت جنى الرطب، لا شتاء كما يعتقد النصارى خاصة وأن المعجزة قد تحققت بالفعل، تحققت بالإثمار ذاته وبالهز، وبكونها أصبحت شجرة عظيمة يتطلع الناس لعطائها بعد أن كانت جذعا ميتا مهجورا، لا يطمع فيه أحد.

وقوله: "وَقَرِّي عَيْناً" يشير إلى سؤال ذكره العلماء وهو أن خزنها لم يكن لفقد الطعام والشراب، حتى تسلى بالسرى والرطب؟

(وأجيب بأن التسلية لم تقع بهما من حيث إنهما طعام وشراب، ولكن من حيث إنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة، والبعد من الريبة

وأنها بمعزل عما قرفوها به، ثم إن الأمور الخارجة عن العادات لا يمكن إلا أن تكون إلهية، ولحكمة نجهلها.(١)

وعلى هذا فقرى عينا بولدك عيسى، فبوجوده انبسط الخير لك إلى آخر الزمان، وطيبي نفسا بهذا المشهد البديع باجتماع الماء والخضرة والوجه الحسن، فالماء مع النخلة بحضرة الحبيب يعطي ريا ومتعة، وهدوءا وسكينة.

- **وذكر الإمام القرطبي أن من معاني وقرى عينا: أي نامي، حضها على الأكل والشرب والنوم، قال أبو عمرو: أقر الله عينه: أي أنام عينه، وأذهب سهره.(٢)**

والنوم هو أمثل علاج لما تشعر به من إرهاق وقلق وحيرة وانفعال، فإذا نامت ولو لبعض الوقت، قامت وهي أجدد نشاطا، وأكثر ارتياحا، وأهدأ بالا، وأقوى على مواصلة الجهد منها قبل النوم.

---

(١) تفسير القاسمي ٩٦/٧

(٢) تفسير القرطبي ٥٢٩/٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد يستعمل هذا التعبير في المقابل، أي في الشر والدعاء على
نسان، فهو من الأضداد فمعنى أقر الله عينه في الدعاء عليه أي أسكنها
لموت.(١)
وعلى هذا فالمعنى: طيبي نفسا يا مريم، وكوني سعيدة راضية بما
حدث، فما تخافينه يسكن الخير بداخله، وكل ما حولك وترينه بعينك يعظم
قدرك
- ظهور الماء بهذه البقعة المباركة، ولم يكن من قبل له وجود.
- إثمار الجذع وكان من قبل ميتا، أفعال رحمانية معلمة لك وراشدة
لقومك، تقول بلسان الحال، إذا كنت حملت بلا ذكر، فكذلك وجد النهر،
وحملت النخلة بالثمر دون لقاح وفي لمح البصر، وفي وقت لم يعهد لرطب
أن يجنى.
قال الإمام الألوسى: وأرشد الله مريم إلى الشجرة ليريها آية إثمارها
بدون رأس، وفي وقت الشتاء الذي لم يعهد ذلك فيه.(٢)
وقال الإمام الطبري: فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء.(٣)
وعد المفسرون أن الإثمار في هذا الوقت معجزة، تضاف إلى
المعجزات الاخرى، وأصبح النصارى يحتفلون بميلاده عليه السلام في هذا
التوقيت، لكن يختلفون في اليوم فميلاد المسيح يوم ٢٥ ديسمبر عند نصارى
الغرب و ٧ يناير عند نصارى الشرق.
أما القرآن الكريم فلم ينص على الوقت، بل جعل الباب مفتوحاً، فكما
تكون المعجزة إثمارها في غير وقتها، فربما قد تكون أيضاً لدلالة الوقت

---

(١) تفسير الشعراوي ١٥/٩٠٦٩، ٩٠٧٠
(٢) روح المعاني ٩/١١٨
(٣) تفسير الطبري ١٥/٥١١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في جسمه من غذاء، لكنه لا يصبر على الماء أكثر من ثلاثة أيام إلى عشرة أيام، حسب ما في جسمه من ماء.

لذلك كان من حكمته تعالى أن يملك الطعام كثيراً، ويملك الماء قليلا، وقد ضمنها لمريم وجعلها في متناول يدها، وأغناها عن أن يخدمها أحد.(١)

- ومن السري أيضاً تطهري واغتسلي، ولا يخفى ما في الاغتسال من تأثير عظيم في تنشيط الأعضاء، والانتعاش والسرور.

"وَقَرِّي عَيْناً...." وقري: بفتح القاف قراءة الجمهور، وحكى الطبري قراءة وقرى بكسر القاف وهي لغة نجد، يقال: قرت عينه تقر بفتح العين وكسرها في المضارع.(٢)

من القُرّ وهو البرد، وذلك أن العين اذا فرح صاحبها كان دمعها باردا، واذا حزن كان دمعها حارا.

وعن الاصمعي أن المعنى: ولتبرد دمعتك، لأن دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن حارة. (٣)

ولذلك قالوا في الدعاء عليه أسخن الله عينه، وفي الدعاء له أقر الله عينه، وضعف ناس هذا وقالوا الدمع كله حار.

- وقيل مأخوذ من السكون والاستقرار، يقال: وقرى عينا اي اسكني(٤) فالعرب تعبر بقرة العين وسكونها عن السرور، لأن سكون العين على مرأى واحد لا تتحول عنه، دليل أن العين صادفت مرأى جميلا تسعد به وتسر، فلا يغني عنه مرأى آخر، فتظل ساكنة عليه لا تتحرك عنه.

---

(١) السابق ١٥/٩٠٦٦،٩٠٦٧

(٢) تفسير الطبري ١٥/٥١٦ ، وروح المعاني ٩/١٢٥

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/٥٣٠

(٤) المفردات ص ٣٩٩ المعجم الوجيز ص ٤٩٦ وينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٨/٣٧٩

AI CAMERA
Shot on realme C11 2021
2024/08/08
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرطب، بل ويحتفظ بكل خواصه الغذائية بدرجة كبيرة لمدة عام، أو أكثر
دون أن يفسد حتى يأتي المحصول الجديد.(١)
وقد أثبتت التجارب العلمية أن الجراثيم لا تعيش في التمر، كما أن
مادة التانين في التمر تحميه من الطفيليات.(٢)
لذا فالتمر غذاء كامل للإنسان، وللنفساء على وجه الخصوص لشدة
منفعها
قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الأية، ولو علم
الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم.(٣)
"فَكُلِي....." من الجنى المناسب لك، والمفيد لحالتك
"وَاشْرَبِي....." من السرى ذلك الماء العذب (وقدم الأكل على
الشرب، لأن حاجة النفساء إلى الرطب أشد من احتياجها إلى الماء لكثرة ما
سال منها من الدماء)(٤) ثم إن الإنسان عادةً يأكل أولاً ثم يشرب، فالماء مع
أهميته إلا أنه يأتي في العادة بعد الطعام.(٥)
مع أننا نلاحظ أن الله تعالى عندما وفر لمريم مقومات الحياة وعناصر
استبقائها قدم وجود الماء على الطعام، قال تعالى: ((فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ
تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ
رُطَباً جَنِيّاً)) لأن هذا ترتيب على حسب أهمية تلك العناصر للإنسان،
فالإنسان يمكنه أن يصبر شهرا دون أن يأكل، ويقتات على ما هو مخزون

---

(١) المرض والشفاء في القرآن الكريم ص ٣٨٢، والإعجاز العلمي في السنة النبوية، د/زغلول النجار ص ٣١٦
(٢) موسوعة الإعجاز ١٢٠/٥، والإعجاز العلمي في السنة النبوية ص ٣١٦
(٣) تفسير القرطبي ٥٢٨/٦
(٤) اللباب في علوم الكتاب ٥٠/١٣
(٥) تفسير الشعراوي ٩٠٦٩/١٥

النازفة

- هذا فضلا عن أن الحديد في الرطب سهل الامتصاص، وهو ضروري لتكوين دم جديد، يحل محل الدم الذي نزف وقت الولادة وبعدها

- الرطب من المواد الملينة التي تنظف القولون، فمن جهة تفيد في تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة خاصة، ولنتذكر بأن الولادة المثالية يجب أن يسبقها حقنة شرجية لتنظيف القولون، ومن جهة أخرى: يمنع الإمساك الذي كثيراً ما يحدث بعد الولادة.

- كما يوجد بالرطب أيضاً مواد تساعد على سرعة إدرار اللبن من ثدي الوالدة، ومواد أخرى تهدئ الأعصاب، فالرطب هو أنسب طعام للسيدة مريم في حالتها أثناء الولادة وبعدها، لذلك جعل الله الرطب يتساقط بين يديها الطاهرتين فكان فيه التغذية للجسم، وفيه التهدئة للأعصاب.(١)

- ثمار النخلة من الثمار الفريدة التي لم يفسدها تدخل الإنسان، لأن النخلة تمتص غذاءها من أعماق بعيدة عن سطح الأرض، فهي بمنأى عن المواد الضارة التي يستعملها الإنسان في إبادة الحشرات الزراعية، وكذلك تسميد الأرض بأسمدة كيميائية ضارة بالأشجار والثمار، وبالتالي تحدث أضرارا صحية بالإنسان.(٢)

كما أن ارتفاع فروعها يجعل ثمرها بعيدا عن الأتربة المتصاعدة وقاذورات الطريق، فثمرها طيب نقي من جميع الشوائب.(٣)

والتمر أيضاً يحتوي على كل العناصر الغذائية، التي يحتوي عليها

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ١/١٣٠ ، والمرضى والشفاء في القرآن الكريم ص ٣٨٣، ٣٨٤، والإعجاز العلمي في الإسلام "السنة النبوية" محمد كامل عبد الصمد ص٧٣-٧٥

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ٥/١٢٠

(٣) السابق ١٣٦١٥

زيتا نباتيا جيدا، وما تبقى من النوى يحتوى على نشويات وبروتينات، وأملاح، ويصلح علفاً للماشية.(١)

أما من الناحية الغذائية.

فثمار النخلة وهو البلح إذا صار رطبا طرياً، فإنه يعتبر من الطبقة الأولى من الثمار في احتوائه على المواد اللازمة لجسم السيدة التي تمر بحالة الوضع، وذلك لأسباب

- سهولة تناولها، حيث لا تحتاج لمجهود في التقشير، أو استخلاص البذرة - النوى - بل يمكن للإنسان أن يصنع ذلك بيسر وسهولة بفمه أو بيده.(٢)

- احتواء كل مائة جرام رطب -سبع وحدات تقريباً- على ٣٠ جرام سكر، ٠،٣ جرام دهون، جرام واحد من البروتين، ٥٠ ملي جرام كالسيوم، ٣٠ ملي جرام فسفور، ٢،٣ ملي جرام جديد، ٤٥٠ ملي جرام بوتاسيوم، بالإضافة إلى الكثير من الفيتامينات والأملاح المعدنية.

- والسكر في الرطب معظمه من الجلوكوز والفركتوز، سهلة الهضم، سريعة الامتصاص، وهذا يمنح الجسم طاقة عالية، ومن المعروف أن هذه السكريات هي مصدر الطاقة الأساسي، وهي الغذاء المفضل للعضلات، وعضلة الرحم من أضخم عضلات الجسم وتقوم بدور كبير أثناء الولادة، وإذا كان علماء التوليد يقدمون للحامل في حالة المخاض، الماء والسكر فإن الآية الكريمة قد نصت على إعطاء السوائل "فكلي واشربي"

- الرطب يخفض ضغط الدم عند الحوامل فترة ليست طويلة، ثم يعود لطبيعته، وهذه الخاصية مفيدة لأنه بانخفاض ضغط الدم تقل كمية الدم

---

(١) السابق ١١٨/٥

(٢) علم النبات في القرآن ص ٢١٥

١- (ثبات أصلها في الأرض، واستقرارها فيها، والمسلم ثابت في الأرض لا يتزعزع.

٢- في دوام زينتها، فلا يسقط ورقها عنها أبدا، وظلها دائم، وخيرها لا ينقطع، وكذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وخيره على الناس لا ينتهي.

٣- النخلة أصبر الشجر على مقاومة الرياح، والصمود في وجه الأعاصير كذلك المؤمن أصبر الناس على مقاومة صعوبات الحياة، والصمود أمام نوائب الدهر.

٤- النخلة أصبر الشجر على العطش، وكذلك المؤمن أصبر الناس على الجوع والعطش.

٥ - النخلة تتكلف القليل من الجهد والمال، وتعطي الكثير، وكذلك المؤمن يفيد المجتمع الذي هو فيه، يأخذ منه القليل ويعطي له الكثير.

٦- النخلة تفيد الأرض التي تنبت فيها، فهي تمنع زحف الصحراء على الأرض الزراعية، وتحد من أضرار العواصف الرملية.

٧ - قلب النخلة من أطيب قلوب الشجر طعما ومنظرا، وكذلك قلب المؤمن هو أطيب قلوب البشر، وقلب المؤمن هو القلب المعنوي الذي يعلي العقل والفكر والإدراك.

٩ - النخلة يؤكل ثمرها بسرا، ورطبا، وتمرا، وجافا، وكل الأنواع من ثمرات النخيل تستعمل غذاء ودواء، وقوتا، وفاكهة، وشرابا، وحلوى، وكل شيء في النخل، من ثمرة وجذع وساق وسعف وليف وورق ينتفع به[١] حتى النوى له فائدة غذائية فهو يحتوي على ٨% من وزنه

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ٥/٩٦، وينظر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تأليف منير فارس ٢/٣٠٢-٣٠٧

هي مثله إذا قطع رأسها هلكت، وإذا انتزع قلبها توقفت حياتها، وهي مغطاة
ليف كما يغطي جسم الإنسان بالشعر، ومثل الإنسان من ذكر وأنثى، وهي
نله لا تثمر الأنثى إلا إذا لقحت بذكر النخيل[١]، حيث يحمل ذكر النخيل كيذانا
داخله حبوب اللقاح، يأخذه المزارع، ويضعه على الزهور في الأنثى، فيحدث
التلقيح، فشجرة النخيل هي الشجرة الوحيدة في عالم النبات التي يتدخل الإنسان
في عملية تلقيحها، ومن العجيب أن حبوب اللقاح لها رائحة مميزة، تشبه إلى حد
بعيد رائحة السائل المنوي في الرجل.[٢]

قال المفسرون :

ولعلها ألجئت إليها دون غيرها من الأشجار على كثرتها، لمناسبة
حال النخلة لها، لأنها لا تحمل إلا بإلقاح من ذكور النخل، فحملها بمجرد
مزها أنسب شيء لإتيانها بولد من غير والد.[٣]

د - كما أن النخلة هي الشجرة الوحيدة في عالم النبات حتى الآن التي
يمكن أن تتكاثر من أم بلا أب، كما أوضحنا من قبل، وهذا يتوافق تماما مع
خلق عيسى عليه السلام.

فصفات النخلة عموما تشبه الإنسان، والإنسان المؤمن أكثر شبها بها،
فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "إن مثل المؤمن مثل شجرة لا
يسقط ورقها، فما هي فأردت أن أقول هي النخلة، فاستحييت، فقال النبي ﷺ
هي النخلة"[٤]

فالمؤمن مثله مثل النخلة في:

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ٩٦/٥

(٢) السابق ٣٨/٥

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٢٨/٤، ٥٢٩ ، وينظر روح المعاني ١١٨/٩، والرازي ٢٠٤/١١

(٤) البخاري في كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ٢٢/١ حدث رقم ٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هـ) بعض الأشجار تنتج روائح عطرية، وثماراً مغذية.[١]

و) النبات يكافح التلوث السمعي، فقد ثبت أن وجود ساتر من الأشجار يحجب حوالي "٨" ديسيبل من ضوضاء الطريق[٢]

فإذا لم يتهيأ لمريم مكان مريح هادئ لوضع عيسى وسط أهلها، فقد وفر الله تعالى لها ما هو أفضل.

لذا لم يكن غريبا أن تشهد الشجرة ايضاً حدثا من أهم أحداث السيرة النبوية وهو بيعة الرضوان، التي بايع فيها النبي ﷺ أصحابه فيها على الموت في سبيل ما آمنوا به من مبادئ العدل والسلام، فقد جرى تحتها أغرب حدث في تاريخ البشرية

الإشارة الثانية : تخصيص النخل وثماره من بين النباتات.

فعلى مدار الآيات وردت الإشارة إليه مرتين في قوله: "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ" وقوله: ((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ)) هذا لتميزه على غيره من الناحية التكوينية و الغذائية، فمن الناحية التكوينية يذكر العلماء كلاما لطيفا حول اختيار الله سبحانه وتعالى لهذا النوع من النبات، وتوجيه السيدة مريم إليه، ومناسبته لها.

أ- النخلة لها جذع تكثر عليه قواعد الجريد المقطوعة، وهذا يسهل للسيدة مريم أن تجد ما تمسك به وتتعلق فيه.

ب- النخلة من النباتات التي يبقى المكان تحتها نظيفاً لأنها لا تسقط أوراقا أو بقايا نباتية تحتها، وما يقطع من جريدها فإنه يظل معلقاً بها.[٣]

حـ - النخلة تشبه الإنسان شكلاً وموضوعا، فهي مثله ذات جذع منتصب،

---

(١) علم النبات في القرآن ص ٢٠٢،٢٠٣

(٢) التلوث الضوضائي وإعاقة التنمية ص ١٩٢

(٣) علم النبات في القرآن ص ٢١٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب) تفوح الشجرة بكميات وافرة من الأكسجين الناشئ من عملية البناء الضوئي التي تحدث في أوراقها وأجزائها الخضراء، وفي نفس الوقت تمتص الشجرة غاز ثاني أكسيد الكربون المنبعث من نفس المجتمعين حولها وتحت ظلالها، وبالجملة فإن الشجرة تمثل مكيفاً طبيعيا للجو، يمدنا بهواء غني بالأكسجين ومرطب ببخار الماء، وبذلك تتفوق في قدرتها على تكييف الهواء تفوقاً ملحوظا على كل المكيفات الكهربائية الحديثة.(١)

ج) ارتفاع نسبة الماء في النبات الأخضر، وما يبعثه النبات الأخضر من بخار الماء في الوسط المحيط به، وما يترتب على ذلك من تلطيف في الجو المحيط، وهو ما يشعره الإنسان المستظل بالشجرة المحتمي بها فطرياً من حرارة الشمس، وشدة الهاجرة، إذ تصل نسبة الماء في الأوراق الخضراء إلى حوالي ٨٠% من الوزن الغض للأوراق والأغصان الصغيرة السن، وهذا يعني أن الشجرة التي يزن مجموعها الأخضر وهو ما يعلو الجذر حوالي ٥ طن في المتوسط يكون وزن الماء من هذا الكم حوالي ٤ طن ماء تقريباً، ويكون الإنسان المستظل بالشجرة في حقيقة الأمر جالسا تحت مظلة مائية قدرها ٤٠٠٠ أربعة آلاف لتر ماء، فهي تمتص حرارة الشمس الساقطة عليها، وتمنعها من إيذائه، وهي أيضاً ترشحه ببخار الماء الذي يشعره باللطف، والانتعاش في آن واحد.

د) إن كثافة الأوراق وما بها من ماء ومواد، يعمل على وقاية الإنسان من الأشعة الضارة الساقطة من الشمس، وأخطرها الأشعة فوق البنفسجية التي يمتص معظمها في طبقات الأوراق، والأغصان المتكاثفة، ولا يبقى من الأشعة إلا القدر الهادئ اللطيف الذي يعطي ضوءا خافتاً شاعرياً.

---

(١) السابق ص ٣٥٢، وينظر البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ص٤٤

رضي الله عنهما قال:" إن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض، فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم الأحد، وخلق ما فيهن من منافع يوم الإثنين، وخلق الأنهار يوم الثلاثاء، وخلق الشجر يوم الأربعاء"(١)

والتشابه هنا يظهر في أن النبات إذا كان سابقا لوجود الإنسان وأنه ينشأ من مواد أولية، فكذلك المسيح عندما شبه الله خلقه بأحد، لم يشبهه إلا بآدم، وكان آدم أول مخلوق من بني جنسه، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٢)

وقد خلقه الله تعالى من مواد أولية في الأرض، الماء والتراب والهواء، ثم نفخ الله فيه من روحه، بخلاف أبناءه الذين يخلقون بعملية معقدة من منى وبويضة وتخصيب...

والنبات لا يعتمد على شيء ويعتمد عليه الكون كله، والمسيح خلق بلا معين إلا الله تعالى، وعليه قامت ديانة من أكبر الديانات، كما أنه يحمل عبء تصحيحها والدخول بمدينيها في الإسلام آخر الزمان.

٢- أن هذه البقعة من الأرض - تحت النخلة - من أفضل البقاع راحة وهدوءا وسكينة، لأسباب يشرحها العلم فيقول:-

أ) جمال اللون الأخضر وأثر وقعه على العين، وما يتسبب عنه من هدوء نفسي، وإشباع روحي.(٣)

---

(١) الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر آدم عليه السلام ٥٩٢/٢ حديث ٣٩٩٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الذهبي: أبو سعيد البقال، قال ابن نعيم: لا يكتب حديثه، والبيهقي في الأسماء والصفات باب ما ذكر في القدم والرجل ٢٠٢/٢، ٢٠٣ حديث رقم ٧٦٥

(٢) آلعمران آية ٥٩

(٣) علم النبات في القرآن ص ٢٠٢